التّضمين في الحديث النبوي الشريف
دراسة تطبيقية

Implication in The Prophet's Hadith
An Applied Study

إعداد الطالبة

رابعة يوسف جبريل حسين

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهدي

رسالة جامعية مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

2012 -2011

تفويض

أنا رابعة يوسف جبريل حسين ، أُفوّض جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رسالتي ورقيا وإلكترونيا للمكتبات، أو المنظمات، أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

الاسم : رابعة يوسف جبريل حسين

التوقيع :

التاريخ : 20 / 5 / 2012

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها " التّضمين في الحديث النبوي الشريف" دراسة تطبيقية وأُجيزت بتاريخ ٢٠ / ٥ / ٢٠١٢

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١- الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهدي مشرفًا ورئيسًا		
٢- الدكتورة جمانة مفيد السالم	عضوًا	
٣- الدكتور محمد خليل الخلايلة	عضوًا	

شكر وتقدير

أتوجه بكامل الثناء والحمد والعرفان لله تعالى ، ومن ثمّ للأستاذ الدكتور الفاضل عميد كلية الآداب عبد الرؤوف زهدي ، فلولا جهوده المضيئة ، ولمساته البراقة ، وصبره الكبير ، وحلمه وسعة صدره ، لما استطعت أن أُخرج هذه الرسالة إلى عالم الواقع ، فقد كُلِّل تصويبها وتعديلها بفضل توجيهاته ، وقد كان لي مثال الباحث الجاد المدقق والفاحص ، يعمل جاهدًا لإرشادي إلى طريق البحث الصحيح ، وعدم التواني في مسائل البحث حتى رغبت عن التواني في تمحيص المسائل وتدقيقها ، فبارك الله سِنِي عمره وزادها عطاء وأفاد من بعدي بفكره وعلمه الذي ما انفكَّ نبراسًا لدرب البحث والباحثين، كلمات شكر قليلة يعجز حُشاش القلب الذي تربع فيه أن يعبر عنها اللسان، فقد أحاطني بالرعاية العلمية السديدة، ، فجزاك الله كل خير. كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من جهد في قراءة رسالتي ولما قدموه من ملحوظات قيمة وآراء سديدة أغنت الرسالة، وأثرتها، وأتقدم بالشكر والتقدير إلى أساتذتي الأفاضل بقسم اللغة العربية لما قدموه من علم ومعرفة ونصح وإرشاد.

الباحثة

الإهداء

أُهـــدي هذا الجهد المتواضع إلى كل مَنْ :

أحـــــــــــبّ كتاب اللـــــــــــــــه

وأحب سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام

إلـــى نبع الحب والعطاء والدتي رحمها الله

وإلـــــــــــى من علمني معنى الكرامة والشموخ

والـــــــــــــــــــــــدي أطال الله في عمره

وإلـــــــــــــى أشقائي وشقيقاتي احترامًا وتقديرًا

وإلـــــى كل من كان له دور في إنجاز هذا العمل

ملخص بالعربية

التّضمين في الحديث النبوي الشريف

إعداد

رابعـة يوسف جبريل حسـين

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهـدي

تتحدَّث هذه الدِّراسة عن التَّضمين في الحديث النبوي الشريف، وقد قامت فحوى الدّراسات السابقة على عدد من المسالك، سلك أصحابها مسلكين، أحدهما يعمد إلى ما يقوم بالتَّعاقب بين أحرف الجر في العربية، حيث يُعْلَمُ تمامًا ما لهذا الفنِّ من أُصول، يقوم عليها. وأمَّا المسلك الثاني فيعمد إلى فهم المعاني المختصّة بالأفعال، حيث تضمّن الأفعال معنى أفعال أُخَر.

جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول؛ خُصَّ الفصل الأول منها بالحديث عن مشكلة الدراسة وأسئلتها وأهدافها وأهميتها وحدودها ، ثم توضيح مصطلحاتها والوصول لمصطلح إجرائي للدراسة الواردة ومنهجيتها ، ثم تناولَتْ الأدب النظري والدراسات السابقة .

أمّا الفصل الثاني فتحدثت الدراسة عن تعريف التّضمين ومفهومه ، وأنواعه : (العروضي والبديعي والبياني والنحوي) ، ثم ذكر الفرق بين التضمين، والمجاز والكناية، والتقارض، والحمل على المعنى، ومواضِع التّضمين في النَّحْو العربي ، واختلاف التَّضمين بين القُدماء والمُحْدثين .

أمّا الفصل الثالث فخُصّص لدراسة نماذج معينة من صحيحي البخاري ومسلم ، وتحليلها تحليلاً لغويًا ودلاليًّا، وضمنتها ألوانًا متنوعة اشتملت على التضمين في الأسماء، والتضمين في الأفعال ممّا احتوى عليه الكتابان، وتضمين شواهد مأخوذة من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف ، أو من الشعر العربي ، أو من أقوال العرب الفصحاء المشهورين ، أو ممّا احتوت من أساليب بلاغيّة ، أو صور بيانيّة ، أو بديعيّة . وقد تم تحليلها ، والوقوف على أثر الدلالات التركيبيّة فيها ، وبيان الصيغ المستعملة فيها ، وأثر هذه التراكيب في صياغة المعنى وتشكيله.

وأخيرًا تُوّجتِ الدراسة بذكر النتائج والتوصيات التي خلصت إليها ومنها: أن طلب المعنى من وراء اللفظ معزولًا عن نظمه، وقصره على معناه المعجمي يُغْفِلُ الكثيرَ من المعاني والدلالات التي تَتَأَتَّى من خلال السياق، وأن دلالة اللفظ تختلف بحسب السياق الذي ينتظم فيه.وحمل الكلام على حقيقته – إن أمكن ذلك – أولى من التكلف في حمله وفق أسلوب

التضمين. وأنّ التكلف في حمل الأحاديث وفق أسلوب التضمين يذهب بكثير من أسرار الحروف ودقائق النظم.

Summary

This study talks about implication in Arabic Language and the content of these studies which depend on a number of methods , their owners took two ways .
One of them depends on the sequence between the prepositions in Arabic language . So we exactly know that this science depends on own origins . The second method depends on understanding the meanings that relates to the verbs , so the verbs take place the meaning of other verbs.

This study has been divided to three chapters. The first chapter has been assigned with specifications about the subject of the study , its importance and questions.

Then it talks about the aim of the study and its determination and explaining the terms mentioned in the study. In the last section in chapter one the study talked about the theoretical frame work and previous studies .

In the second chapter, the study talked about the definition of implication and its kinds (metrical , illustrative , and syntactic). Then it talked about the difference between implication , metaphor, metonymy and borrowing,), the positions of implication in Arabic syntax and different implications between old and modern.

In the third chapter, the researcher talked especially about unique models about saheeh Bokharee and Muslim and explain them linguistically and semantically.

The researcher includes these models some forms that come from both books.

Then the researcher includes evidences that took from Holy Quran and Prophet's Hadith " peace be upon him" . Arabic poetry saying of good and fame Arabs and what it includes of theatrical

methods, figurative speech and the researcher analyzed them and focus on their compound meanings and explains the forms that was used, Also the researcher focus on the effect of these forms that form the meaning and its form.

The study was crowned by remembering the outcomes and procedures that were reached by the researcher.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
التفويض	ب
قرار لجنة المناقشة	ج
الشكر	د
الإهداء	هـ
ملخص باللغة العربية	و
ملخص باللغة الإنجليزية	ط
قائمة المحتويات	ك
الفصل الأول: مقدّمات عامَّة	1-11
موضوع الدراسة	1
مشكلة الدراسة وأسئلتها	3
هدف الدراسة	4
أهمية الدراسة	4
حدود الدراسة	4
تعريف المصطلحات	5

الأدب النظري والدراسات السابقة	7
منهجية الدراسة	11
الفصل الثاني: التَّضمين	12– 57
مفهوم التّضمين : لغة	12
اصطلاحًا	13
أنواع التضمين	13–22
– العروضي	13
– البديعي	15
– البياني	16
– النحوي	18
قياسية التَّضمين وشروطه	23
التّضمين وعلاقته بالمصطلحات	29–36
التّضمين والمجاز	29
التّضمين والكناية	32
التّضمين والتقارض	34
التّضمين والحمل على المعنى	36
التّضمين في مسائل النحو العربي	37–46

التّضمين في الأسماء	37
أسماء الاستفهام	37
أسماء الشرط	38
أسماء الإشارة	38
الأسماء الموصولة	39
التّضمين في الأفعال	41
التّضمين بين القدماء والمحدثين	47-57
الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية	58-131
دراسة تطبيقية لشواهد التّضمين في الحديث النبوي	58-117
التّضمين في الأسماء	61
تضمين الموصول معنى الشرط	62
التّضمين في أسماء الاستفهام	67
تضمين الاسم معنى اسم آخر	69
التّضمين في الأفعال	71
التعدية واللزوم في الأفعال	76
نماذج تطبيقية من الحديث النبوي الشريف في الأفعال	80
أحاديث لا يُرجَّحُ القول بالتّضمين فيها	118

ظاهرة الزيادة في الحديث النبوي الشريف 121

رصد شواهد التّضمين في الصحيحين 123-131

- في الأسماء 124

- في الأفعال 126

الجداول الإحصائية 132

النتائج والتوصيات 137

المصادر والمراجع 139

الفصل الأول

مقدّمات عامة

امتازت العربية عن غيرها من اللغات بظاهرة التوسع في المعنى، والناظر في اللغة العربية يجد فيها كثيراً من العبارات والاستعمالات الموجزة التي تحتمل أو تتضمن أكثر من معنى .

ومن المعروف في أساليب العربية أن كل فعل من أفعالها يختص بتعدٍ معيَّن إلى حرف جر فلا يتجاوزه ، ومن هنا حرصت المعجمات العربية على رصد هذا التعدي ، فإذا أشكل على مستخدم للفعل تعيين هذا الحرف رجع إلى المعجم، أو إلى ضرب من ضروب السماع الفصيح : من قرآن كريمٍ، وحديث نبوي شريفٍ، وشعرٍ، وقولٍ منثورٍ، يعود إلى عصور الاحتجاج اللغوي حتى عام 180هـ.

ولكن هناك ظاهرة في كتاب الله تعالى وأحاديث نبيّه الكريم تستحق النظر، وتستوقف القارئ،إذ يجد أن الأفعال التي ترد في كثير من الآيات تخالف في تعديها إلى حرف الجر ما نصت عليه معجمات اللغة، ومن ذلك قوله تعالى "**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** " طه: 71 ، وقوله عليه الصلاة والسلام:"قوموا فلأصلّ لكم " في صحيح البخاري 107/1 . وفي رواية الموطأ153/1 والنسائي 85/2:"فلأصلي لكم".

وقد سلك أهل العربية في توجيه هذه الظاهرة مسلكين هما :

*- المسلك الأول: يرى أصحابه أن حروف الجر في العربية تأتي على أكثر من معنى، ويقوم بعضها مقام بعض.

*– المسلك الثاني: يذهب أصحابه إلى أن الفعل هو الذي ينبغي أن يضّمن معنى يليق بحرف الجر الذي تعدى به، ويطلقون على هذا الضرب من التوجيه التضمين النحوي الذي نحن بصدد دراسته، والتضمين في اصطلاح أهل اللغة يراد به أكثر من معنى، فمن معانيه أيضا أن يكون عيباً من عيوب القافية، وهو أن تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثاني، ويسمى التضمين العروضي.

ومن معانيه أيضا التضمين البديعي، وهو أن يضّمن الشاعر شيئا من شعر غيره مع التنبيه عليه إذ لم يكن مشهوراً عند البلغاء. ومنه الاقتباس، وهو أن يضّمن الكلام شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف.

ومن معانيه أيضا التضمين النحوي وهو التوسع في استعمال لفظ يجعله مؤديا معنى لفظ آخر مناسب له، فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم.والذي قال عنه ابن كمال باشا[1] في رسالته" التضمين البياني هو عين التضمين النحوي"[2].

ولما كان أسلوب التضمين قائماً – على الرغم من سهام النقد التي وجهت إليه– مصراً على المضي إلى جانب الأساليب الرفيعة لما يقدمه من خدمة في الكشف عن دقائق المعاني؛ فقد تناولت الدراسة أسلوب التضمين في الحديث الشريف، ولاحظت أن القراءة النحوية البلاغية في السنة النبوية لم تخدم كما خدمت في القرآن الكريم، لما في ذلك من أثرٍ في توضيح مراد الرسول عليه الصلاة والسلام، والتدليل على بلاغته وفصاحة تراكيبه عليه السلام

(1) أحمد بن سليمان بن كمال باشا شمس الدين قاض تركي الأصل، قلما يوجد فن من الفنون وليس لابن كمال باشا مصنف فيه، من مصنفاته: طبقات الفقهاء، وإيضاح الإصلاح، توفي سنة940ه، ينظر: عمر كحاله، معجم المؤلفين238/1

(2) انظر حاشية الصياف95/2

التي تعد في طليعة الأصول المعتد بها في أصول التقعيد النحوي المبني على أصوله من سماعٍ، وإجماعٍ، وتواتر. قال تعالى: "**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**".النجم: 3: 4

فالحديث الشريف هو المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهو مفسر للقرآن ومبين لأحكامه، إذ يشكل الحديث مجالاً خصبًا للبحث، فأحاديثه عليه الصلاة والسلام تتميز بالجزالة والبلاغة والبيان. بدلالة قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **أَلا إِنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ ومِثلَهُ مَعَهُ** ".[1]

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تتمثل مشكلة الدراسة في استقراء التّضمين، في الأحاديث الشريفة من خلال التعرف على استعماله، وطرق هذا الاستعمال وأساليبه في الحديث النبوي، من خلال الأسئلة الآتية:-

- ما مفهوم التّضمين وشروطه وضوابطه؟
- لم اختلف القدماء في تحديد مفهوم التّضمين البياني والنحوي؟
- هل التّضمين من الحقيقة أم من المجاز؟
- لِمَ لَمْ تُخدم السنة النبوية في المجال البلاغي والنحوي كما خُدم القرآن الكريم؟
- ما الأنماط اللغوية التي يظهر فيها التّضمين في الحديث الشريف؟
- هل يختلف التّضمين في الحديث النبوي الشريف عن التضمين في القرآن الكريم؟

(1) مسند الأمام أحمد بن حنبل ج1/ 12.

هدف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار أسرار الفصاحة النبوية، والوقوف على المعاني الحقيقية للتضمين، بالإضافة إلى الدلالات الظاهرة، وقراءتها قراءة نحوية بلاغية، علمية خالصة تجمع أطراف الموضوع وتطبقه على الحديث النبوي في بحث علمي مستقل.

أهمية الدراسة :

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها دراسة تطبيقية، لما للدراسات التطبيقية من أثر في الكشف عن مكنون المعاني وذخائر النظم ، فهي تعالج ظاهرة التضمين في السنة النبوية في دراسة تطبيقية ،كما تكتسب هذه الدراسة أهميتها من أهمية أسلوب التضمين حيث تبرز مكانته في توجيه النصوص، فهو من أبرز الأساليب التي خُرّج عليها كثير من الاستعمالات في القرآن الكريم. وتعد هذه الدراسة جديدة من نوعها، كونها دراسة تطبيقية مختصة بالتضمين في الحديث النبوي الشريف.

حدود الدراسة :

ستقتصر الدراسة على موضوع التّضمين في الصحيحين(البخاري ومسلم) وكتب اللغة : كالكتاب، والخصائص،وخزانة الأدب، ومغني اللبيب، وكتب الشروح مثل: فتح الباري في شرح صحيح البخاري،وشرح النووي في صحيح مسلم، والمعاجم العربية المعروفة.

تعريف المصطلحات:

التّضمين النحوي:

عرّفه النحاة بأنه التوسع في استعمال لفظ يجعله مؤدياً معنى لفظ آخر مناسبًا له، فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم.

فقد عرّفه ابن جني بقوله "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر،وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بحرف آخر، فإن العرب قد تتّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه "[1].

وقد عرّفه ابن هشام بقوله: "قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضميناً"[2].

وجاء في قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة: "التضمين أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدّى فعل آخر أو ما في معناه ، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم"[3].

التّضمين البديعي: "هو أن يضمن الشاعر كلامه شعراً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر وذوي اللّسن"[4].

---

(1) الخصائص308/2.

(2) مغني اللبيب642.

(3) انظر مظاهر التجديد النحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة حتى عام 1984، 17.

(4) جواهر البلاغة،260.

الاقتباس: "هو أن يُضمن المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما"[1].

التلميح: "هو الإشارة إلى قصة معلومة أو شعر مشهور، أو مثل سائر من غير ذكره"[2].

العقد: " هو نظم النثر مطلقا لا على وجه الاقتباس ومن شروطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه، أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر"[3].

الحل: "هو نثر النظم، وإنما يقبل إذا كان جيد السبك، حسن الموقع"[4].

الحديث النبوي:

عرّفه نور الدين عتر "ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو وصفٍ خَلقي أو خُلقي".[5]

وهو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فلغته عليه الصلاة والسلام أفصح اللغات ، وقد رُوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: " **أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**"[6].

---

(1) جواهر البلاغة،258.

(2) المرجع السابق، 261.

(3) المرجع السابق 261.

(4) المرجع السابق 261.

(5) منهج النقد في علوم الحديث،26.

(6) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج12/ 366.

الأدب النظري والدراسات السابقة:

لم تقف الباحثة على أي دراسة تطبيقية مختصة في موضوع التضمين في الحديث الشريف – فيما تعلم –، وإنما وقفت على عدد من الدراسات النظرية والتطبيقية في القرآن الكريم منها :

ذكر توامه(1986) في بحثه **الفعل في القرآن الكريم، الزمن والتعدية والتضمين في الآيات المكية** ، وهي رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير من جامعة حلب .

تحدث في القسم الذي خصصه للتضمين عن معنى التضمين، وفائدته، وغرضه التعبيري،ثم ناقش موضوع التضمين ونيابة حروف الإضافة عن بعضها بعضًا ،والتضمين بين النحو والبلاغة، كما أورد أمثلة من السور المكية في القسم التطبيقي، إذ قصره على الإشارة إلى موضع التضمين معتمداً آراء العلماء دون مناقشة أو تعليل .

أمّا الحمد(1993) في بحثها **التضمين في النحو العربي**، المنشور في مجلة جامعة الملك سعود بالرياض، فقد درست فيه الباحثة التضمين دراسة شاملة مع حصر المواضع التي ورد فيها التضمين في النحو العربي، وذكر خصائصه ومميزاته، وعرض آراء النحاة المختلفة فيه ونقدها.وخلصت إلى أن التضمين وارد في أقسام الكلمة المختلفة من فعل واسم وحرف، وهو طريقة من طرق تعدي الفعل ولزومه، وإن الحمل على المعنى نوع من أنواع التضمين.

وفي دراسة وصفية لعوض(1997) **الحروف العاملة في صحيح الإمام البخاري**، رسالة قدمت لنيل الماجستير من جامعة أم القرى.

هدفت الدراسة إلى بيان أهمية الحروف العاملة، وأثرها في التراكيب النحوية العربية على مستوى اللفظ والمعنى، وذلك بتقديم الأنماط المختلفة للحروف العاملة في صحيح الإمام البخاري. وتعنى هذه الرسالة بدراسة الحروف العاملة في الجملة الاسمية (إن وأخواتها،لا النافية للجنس،الحروف المشبهة بـ (ليس) وهي (ما،لا،لات،إن) ودلالاتها.كما تعنى بدراسة حروف الجر وعملها، ودلالاتها، وبعض السمات والخصائص السياقية لحروف الجر نحو الحذف، وتناوب حروف الجر والتضمين، والفصل بين حروف الجر ومدخولها.وتعنى أيضا بدراسة الحروف العاملة في الفعل المضارع(الناصبة، والجازمة). وكون الباحث اهتم بالحروف وعملها، فإنه لم يتحدث عن التضمين مفصلا بل جاء مجرد وصف لهذه السمات والخصائص السياقية لحروف الجر، فقد عالجه ضمن مجموعة من الموضوعات في فصل واحد، تضم ثلاثة أبواب تحتوي على تسعة فصول، فلا تعد هذه الدراسة مختصة بموضوع التضمين، كما أنها دراسة وصفية لا تطبيقية.

وقد تناول خالد بي (1997) في رسالته **التضمين النحوي بين القدماء والمحدثين** ، التي قدمت لنيل درجة الماجستير من جامعة تشرين، نظرة النحاة القدماء لمفهوم التضمين، وما قدمه المحدثون من دراسات ومقالات. وقد تناول الموضوع من وجهة نظر أدبية، والأمثلة القرآنية جاءت عرضا دون تمحيص أو تخصيص.

وتحدثت الصمادي(2000)، ضمن الإطار النظري لرسالتها المعنونة بـ **التضمين في القرآن الكريم** (دراسة تطبيقية) وهي رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير من الجامعة الأردنية ، عن مفهوم التضمين وشروطه وضوابطه، كما ذكرت التوجيهات النحوية البديلة

لمفهوم التضمين، وعن موقف المفسرين وآراء بعض المحدثين في التضمين. أما الجانب التطبيقي فجاء في مبحثين :

الأول : آيات يرجح القول بالتضمين فيها، وفيه توجيه للآيات وفق أسلوب التضمين، وبيان المعنى الإعجازي المترتب على ذلك، وما يؤيده من قرائن ملفوظة أو ملحوظة .

والثاني: آيات حُملت على التضمين، وحملها على غيره أظهر، وفيها دراسة للآيات التي حُملت على التضمين، ولكن بعد البحث وجدت عدم انطباق شروط التضمين عليها، فترتب على ذلك حملها وفق أسلوب آخر لا تكلف فيه.

وتناول حامد(2001) في كتابه، **التضمين في العربية**(بحث في البلاغة والنحو) موضوع التضمين بأنواعه المختلفة: البياني، والبديعي، والعروضي، ووقف على مفهوم كلّ منها، وبيّن علاقة التضمين البياني بأركان البلاغة الأخرى،كما تحدث عن التضمين في النحو وأثره في قضايا النحو العربي ومسائله كالبناء والنيابة ،وتعدي الفعل ولزومه .

وتحدث عن رسالة ابن كمال باشا في التضمين مبيناً منهجه في الرسالة، ومضمونها الذي يشتمل على: تحقيق معنى التضمين، والفرق بين مصطلح التضمين وبعض المصطلحات البلاغية الأخرى كالمجاز والكناية، والتضمين في المتعدي وغير المتعدي من الأفعال. وقد خصص القسم الأخير لدراسة آراء المحدثين في التضمين.

أمّا عبد الله (2002) في بحثه الموسوم بـ **أسلوب التضمين وأثره في التفسير** . مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية عدد49، ص 21،85 . فقد أكد أن التضمين أسلوب بلاغي رفيع ورد في كلام العرب، وهو أحد أبرز الأساليب التي خُرّج عليها كثير من الاستعمالات في

القرآن الكريم. وعني به طائفة من النحاة أغلبهم من مدرسة البصرة ، كما أغفله عددٌ من الرواد الأوائل مكتفين بتوجيه النص في ضوء تناوب الحروف ، وناقش فيه مجموعة من الموضوعات، منها التضمين بين الحقيقة والمجاز، وبين القياس والسماع ، كما أوضح رأي مدارس النحو ومواقفها من التضمين ، ثم خلص إلى القول بأهمية أسلوب التضمين وإبراز مكانته في توجيه النصوص، ودعا إلى مزيد من الدراسة لهذا الأسلوب الذي يبدو أن إغفاله بعدٌ عن صواب القول .

وأمّا فاضل (2005) في أطروحة الدكتوراه بعنوان، **التضمين النحوي في القرآن الكريم**، جامعة القرآن الكريم بالخرطوم. فقد كان من أنصار أسلوب التضمين وشديد الحماسة له، إذ رفض التضمين في الحروف فلجأ إلى مناقشة وظيفة كل قسم من أقسام الكلمة الثلاثة. مشيرًا إلى الغرض من التضمين وفائدته، وتحدث عن أوجه استعماله، وهو عنده في الأفعال والأسماء. أما القسم التطبيقي فقد كان محصوراً في القرآن وفق عنوان الرسالة، إذ استعان بطائفة واسعة من الآيات الكريمة التي تؤيد نظريته ورأيه.

تقتصر الفائدة المرجوة من هذه الدراسات السابقة، على تعرّف التّضمين وأسسه وقواعده في كتب النحو والبلاغة، والوقوف على ما قامت هذه الدراسات بتطبيقه على النصوص القرآنية الكريمة فقط، أما الأحاديث النبوية فقد أغفلتها.

ويظهر جليًّاً وقوف (توَّامة) على مواضع التضمين في الفعل في القرآن الكريم – قصرًا– وعدم التفاته لمواضع التضمين في الحديث الشريف.أمَّا منيرة الحمد، فقد وقفت عليه وِقْفَة شاملة وتوسعت في الموضوع، لكنَّها لم تقف على الحديث تخصيصًا. أمّا دراسة محمد خالد بي فتُعَدُّ دراسة نظرية لمواضع التضمين عند القدماء. بينما كانت رسالة الصّمادي دراسة لمواضع

التضمين في القرآن الكريم، وكذا دراسة زيد عمر عبد الله، التي درست التّضمين وأثره في التفسير. وأخيرًا جاءت دراسة متولي لتعمد إلى مفهوم الحروف العاملة فقط في صحيح البخاري.

ولمّا وجدت الباحثة أنّ الدراسات السابقة قد نأت عن بحث مستقل في دراسة تطبيقية متخصّصة لموضوع التضمين في الحديث النبوي الشريف، ارتأت أن تضع رسالة متخصصة في ذلك، وتعمد فيها إلى توضيح المعاني الدّلاليّة وفق المستويات اللُّغوية؛ لتضع قلم نور إلى دراسة تُعالج شواهد التّضمين في الحديث الشريف.

منهجية الدراسة :

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي إذ سيتم استخراج مادة الدراسة من الصحيحين ومعالجتها معالجة تطبيقية، من حيث بيان المعاني والدلالات، وأوجه الإعراب وتوجيه العبارة، والوجوه البيانية والبلاغية .

الفصل الثاني

التّضمين

التّضمين لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (ضَمِنَ)، وضمّن الشيء أودعه إيّاه، كما تودع الوعاء المتاع، والميت القبر.[1] ومنه ما قيل في وصف ناقة حامل:

أوكتْ عليه مضيقاً من عواهنها كَمَا تَضَمَّنَ كشحُ الحُرَّةِ الحَبَلا[2]

وجاء في القاموس المحيط، (وتضمنه اشتمل عليه)[3] ويأتي التضمين بمعنى الكفيل، يقال ضمن الشيء كفله إياه: كفله. ومنه قول الفرزدق:

أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ وَإِنَّما يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي[4]

ومنه قول لبيد:

نُعطي حُقوقاً على الأحسابِ ضامِنَةً حَتّى يُنَوِّرَ في قُرْيانِهِ الزَّهَرُ [5]

وبهذا يظهر أن معاني(ضمن) المختلفة، قد اشتركت في معنى الدخول في الشيء، أو الإيداع، أو الاحتواء.

---

(1) لسان العرب (ضمن)

(2) ديوان عدي بن الرقاع ج1/ 3.

أوكت : ربطت، كشح: القَدُّ، (لسان العرب: وكى، كشح) والشاهد في قَوْلِه:"تَضَمَّنَ"، والمعنى : الوَدْع.

(3) القاموس المحيط (ضمن)

(4) ديوان الفرزدق 488.

(5) ينظر ديوان لبيد بن ربيعة العامري 60.

الحقوق: فعل المعروف ، ضامنة : أي هي مضمون بها الوفاء لأننا ذوو حسب ، ينور الزهر: يطلع النوار، والقريان: مجاري الماء إلى الرياض والواحد قري، (لسان العرب: حقق، نور،قرا) يقول نطعم في أيام القحط حتى يخصب الناس.

مفهوم التّضمين اصطلاحاً :

ومن الملاحظ وجود تباين في تعريف التضمين بين فن وآخر، فهو يَخْرُج إلى تضمين بديعي، وتضمين عروضي، وتضمين بياني، وتضمين نحوي.

- أنواعه:

التّضمين العروضي:

يأخذ التضمين في علم العروض معنىً مخالفًا لمعناه في علمي البيان والبديع، فهو على ما يقول الأزهري: المضمن من الشعر ما لم يتم معنى قوافيه إلا بالبيت الذي يليه"[1]

وقال الجوهري: "والمضمن من البيت: ما لا يتم معناه إلا بالذي يليه." [2] وعرفه ابن رشيق بقوله: "والتضمين أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها".[3] ومثّل له بقول النابغة:

وهمْ وَرَدوا الجِفارَ على تَميمٍ؛ وهم أصحابُ يومِ عُكاظَ، إنّي

شَهِدْتُ لهُمْ مَواطِنَ صادِقاتٍ ، أتَيْنَـهُمُ بوُدّ الصَّدْرِ منـي[4]

ويرى ابن رشيق كذلك أنه: "كلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة عن القافية كان أسهل عيباً من التضمين ويمثل لذلك بقول كعب بن زهير:"[5]

ديارُ التي بَتَّتْ قُوَانَا وصَرَّمتْ وكنتُ إذا ما الحَبْلُ من خُلَّةٍ صَرَمْ

فَزِعْتُ إلى وَجْناءَ حَرْفٍ كأنّها بأَقْرَابِها قارٌ إذا جِلدُها استَحَمْ[6]

---

(1) انظر تهذيب اللغة للأزهري (ضمن).
(2) الصحاح للجوهري (ضمن).
(3) العمدة 1/ 144.
(4) ديوان النابغة الذبياني188.وفي رواية أخرى (شهدت لهم موارد صادقاتٍ شهدن لهم بصدق الودّ مني) انظر العمده171/1.
الجفار: ماء لبني تميم، يوم عكاظ: من الأيام التي كانوا فيها مع قريش. ودّ الصدر: المحبة.
(5) العمدة 144/1.
(6) ديوان كعب بن زهير53.وفي رواية أخرى (ديار التي بتت حبالي وصرّمت)
بتّت قوانا: قطعتها، صرّم: من التّصريم وهو القطع أيضاً، الخلّة: الصاحبة أو الصّديقة. فزع إلى: لجأ، الوجناء: النّاقة القويّة والصلبة، الحرف: صفة الناقة الضامرة، الأقراب: جمع قرب، الخاصرة، القار: نوع شجر شديد المرارة وهو أيضاً القطران، استحمّ جلدها: عرق. (لسان العرب:بتّ، صرم، فزع، قرب)

وقال الزبيدي: "والمضمن من البيت ما لا يتم معناه إلا بالذي يليه"[1] ومن الملاحظ عدم وجود خلاف بين علماء النقد والعروض حول مفهوم التضمين العروضي، ولكن الخلاف وقع بينهم حول ما إذا كان التضمين بالمفهوم السابق عيباً أو لا، والحاصل أن أغلبية النقاد القدماء يرونه عيباً، ومرد ذلك إلى نظرتهم المعروفة إلى أن البيت وحدة تامة تؤدي معنى مستقلاً دون أن يتعلق البيت بما بعده، غير أن هناك وجهة نظر مخالفة لرأي الأغلبية، تزعمها الأخفش وانتصر لها ابن جنّي من بعده إذ يرى الأخفش أن التضمين العروضي بالمفهوم السابق لا يعد عيباً[2]ثم علق ابن جنّي على رأي الأخفش فقال:"هذا الذي رواه أبو الحسن من أن التضمين ليس بعيب مذهبٌ تراه العرب وتستجيزه، ولم يعب فيه مذهبهم من وجهين: أحدهما السماع، والآخر القياس، أَمَّا السماع فلكثرة ما يرد عنهم من التضمين، وأما القياس؛ فلأن العرب قد وضعت الشعر وضعًا دلت به على جواز التضمين"[3]

ويبدو أن المحدثين من الشعراء قد شايعوا رأي الأقليّة من القدماء، في أن التّضمين ليس عيباً؛ لأنّ مبنى القصيدة عند المحدثين كما هو معروف قائم على الوحدة الموضوعية لا على وحدة البيت كما كان يرى القدماء.[4]

ويظهر من خلال عرض النصوص السابقة، أن التضمين في الشعر، لا يُعَدُّ عَيْبًا، وهو بذلك قد قيس عِنْدهم على لُغَةِ العرب، وهذا هو رأي بعض القدماء، وقد شاركهم المحدثون الرأي؛ لأَنَّ البناء التركيبي للقصيدةِ عِنْدَهم، يقع على مقام الوَحْدَةِ الموضوعيّة، دون النَّظر إلى اعتبار وحدة البيت عندهم؛ لأَنَّ رأي القدماء يَعْمَدُ إلى أَنَّ وَحْدة البيت أهم نظام تُساق فيه القصيدة.

---

(1) تاج العروس(ضمن)
(2) المرجع السابق (ضمن)
(3) ابن جني الخصائص ج1/ 51.
(4) انظر العروض والقافية، 255.

التّضمين البديعي:

يبدو أن من أقدم من ذكر التضمين البديعي هو ابن المعتز (ت 296هـ) ولكن دون أن يعرّفه، بيد أننا نستطيع أن نستشف من الأمثلة القليلة التي أوردها أنه يقصد به أخذ شاعر من شاعر آخر بيتًا أو دونه وتضمينه في شعره[1]. من ذلك:

قول الأَخْطل:

ولَقَدْ سما لِلْخَرّمِيِّ فلم يقل بعد الوغى" لكن تضايق مُقْدَمِي[2]

أخده من قول عنترة:

إذْ يتَّقُون بيَ الأَسِنّةَ لم أخِمْ عنْها ولكنّي تَضَايَقَ مُقدَمي[3]

وقد عرّفه ابن رشيق ت (456 هـ) بصورة واضحة فيقول: "التضمين هو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل"[4] أي أن يأخذ الشاعر البيت أو جزءًا منه متمثلاً به.

أما ابن الأثير ت (637هـ) فقد جمع التضمين والاقتباس تحت مفهوم واحد هو التضمين، وسمّى الأخذ من القرآن الكريم، والحديث تضميناً[5] ووصفه بأنه تضمين حسن . ومن ذلك قول ابن الرومي :

لئن أخطأْتُ فـي مدحِي ك ما أخطأَتَ في منعي

لقـد أَنزلتُ حاجاتـي "بوادٍ غير ذي زرعِ " [6]

---

(1) البديع159.
(2) الوغى: الحرب، المقدم: مكان الإقدام (لسان العرب:وغى،قدم) والمراد أنه لم يكن منه في الحرب جبن ولا هلع ولا تأخر عن مناجزة العدو حتى يحتاج إلى الاعتذار عن شيء من ذلك بعد الحرب، والخرمي هو بابك الخرمي الذي استولى على جبال طبرستان في عصر المأمون ، وقتل في عصر المعتصم. لم يرد هذا البيت في ديوان الأخطل، وقد نسب إليه انظر البديع لابن المعتز 159، وانظر العمدة لابن رشيق 76/2.
(3) ديوان عنترة،212.
(4) العمدة 73/2.
(5) المثل السائر200/2
(6) ديوان ابن الرومي ج1/ 2857.

والشاهد في قوله:" بواد غير ذي زرع" مقتبس من الآية الكريمة في قوله تعالى:" **رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**" إبراهيم:37.

والمُلَاحَظُ من ذلك كُلِّه، أَنَّ تضمين البديع يَعْتمِدُ على الأَخْذِ من شعر الآخر، فمن فعل ذلك، فَكأَنَّه جعل تَمَثُّله بِمَاْ أَخَذَ، وَأَمَّا قَوْل ابن الأثير، فهو بحاجة إلى وِقْفَة، إذ تَمَّ الاتّفاق على أن الأخذ من القرآن والسنة اقتباسًا، أَمَّا الأخذ من كلام غيرنا من شعر أو نثر أو مثلٍ أو كلمة أو قول أو غير ذلك، يُعَدُّ تضمينًا . وقد أورد الشاهد في بيت ابن الرومي في عَجُز البيت الثاني، وهو مأخوذ من قوله تعالى في سورة إبراهيم آية37، وعليه وقع الاقتباس.

التّضمين البياني:

يعدّ الرّماني (386هـ) من أوائل من تعرض للتضمين البياني، إذ جعله باباً من أبواب البلاغة[1] وعرّفه بقوله: "تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه، والتضمين على وجهين : أحدهما ما كان يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، والآخر ما يدلّ عليه دلالة القياس، فالأول كذكرك الشيء بأنه محدث فهذا يدل على المحدث دلالة الإخبار، والتضمين في الصفتين جميعاً، إلا أنه على الوجه الذي بيّنا، وكذلك مكسور ومنكسر، وساقط ومسقط. وأما التضمين الذي يدل عليه دلالة القياس فهو إيجاز في كلام الله عز وجل خاصة، لأنه تعالى لا يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة، وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة، لأنه قد تذهب إليه دلالتها من جهة القياس ولا يخرجه عن أن يكون قد قصد بها ما وضعت له في اللغة العربية من غير أن يلحقه فساد العبارة، وكل آية لا تخلو من تضمين لم

(1) النكت في المجاز القرآني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم 94.

يذكر باسم أو صفة، فمن ذلك (بسم الله الرحمن الرحيم) قد تضمن التعليم لاستنتاج الأمور على التبرك به، والتعظيم لله بذكره وأَنه أدبٌ من آداب الدين وشعارٌ للمصلين، وأنّه إقرارٌ بالعبودية" [1] ويتضح من كلام الرماني على التضمين أمران :

الأول: أن صيغة اسم المفعول يمكن أن تتضمن معنى صيغة اسم الفاعل نحو مكسور ومنكسر.

الثاني: أن الآية القرآنية تتضمن معاني أخرى كما في قوله تعالى: "بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" الفاتحة:1 وقد ذكر ذلك سابقًا؛ لما فيه من التبرك والتعظيم لله.

أمَّا العزّ بن عبد السلام فقد قال: "تضمين اسم معنى اسم لإفادة معناه، فتعديه تعديته في بعض المواضع كقوله تعالى : "حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ" الأعراف: 105 فتضمن حقيق معنى فعل آخر إذ ضمن حقيق معنى حريص ليفيد أنَّه محقوق بقول الحق وحريص عليه ،فتعديه أيضاً تعديته في بعض المواضع ، كقول الشاعر : "قد قتل الله زيادًا عني" ضمن قتل معنى صرف لإفادة أنه صرفه حكماً بالقتل عمَّا عداه من الأسباب ، فأفاد معنى القتل والصرف جميعاً". [2] وهذا لا يعني أن القتل هو الصرف، وإنما يُراد به أن في قتله صرفاً له، فالحق إذن أنَّ القتل غير الصرف، لكنّ في القتل صرفًا، فحين أُريد الإشارة إلى هذا المعنى عُدِّي القتل بـ (عن)، وأصبح معنى(قتل الله زيادًا عني) قتل الله زيادًا فصرفه عني، وهذا تأويل قولهم أن المضمن يؤدي معنيين. وفي هذا نرجع إلى تداوليّة الألفاظ اللُّغوية، ويظهر بجلاء امتدادية اللغة، ووضع المعاني في موضعها على نحو ثبوتها في الجملة من سلب المعنى لآخر بوجود ذلك كله في السياق المحدّد.

(1) المرجع نفسه 94.
(2) انظر شرح التصريح على التوضيح 4/2.

وعرّفه السيد الشريف[1] "أن يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي، ويلاحظ معه معنى آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته، كقولك : أحمد إليك فلاناً ، لاحظت فيه مع الحمد معنى الإنهاء، ودللت عليه بذكر صلته أعني أنهي حمده إليه". [2]

ويظهر من خلال نَصِّ السيّد أن تضمين المعنى الحقيقي ، يَخْرُج إلى لازمة معنىً آخر، فقد وقعت بينهما المناسبة؛ لذكر متعلّقات المعاني الأخريات، فقد ساق المعنى الأصيل مَعْنىً آخر، يُفهم من دِلَالْةِ السّياق عينه، وإذا ما تَبَحّر الناظر في المفهوم السّالف الذّكر وجده دون عناء أو مشقَّة.

التّضمين النحوي :

عرّفه ابن جنّي في كتابه الخصائص بقوله:" اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بالحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تَتَّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنَّ هذا الفعل في معنى ذلك الفعل فجيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه"[3] .

وقد عرّفه ابن هشام بقوله:"قد يشربون لفظاً معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضميناً"[4].

وقد ظهر لدى بعض الباحثين من خلال تعريف ابن جنّي للتضمين ما مفاده أن الفعل المتعدي بحرف يفيد معنى آخر يتعدى بحرف آخر، فتتوسع في تعديته ، بأن يُعدى بالحرف الذي يتعدى به الآخر، فذهبوا إلى أن هذا التعريف غير شامل للمشتق، وما في معنى المشتق

(1) علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي المعروف بالسيد الشريف توفي سنة ست عشرة بشيراز، ينظر السخاوي الضوء اللامع 328/5.
(2) السيد الشريف، حاشيته على تفسير الكشاف 126/1.
(3) الخصائص 308/2.
(4) مغني اللبيب 642.

إذْ تعلق به الجار والمجرور، وغير شاملٍ للذي كان يتعدَّى بحرفٍ خاصٍ ،فتعدّى بنفسه، أو كان لازمًاً فضمن معنى فعل متعد بنفسه ومنهم الأستاذ أحمد الإسكندري.[1]

عَرَّف جواد التّضمين بقوله :" التضمين أَنْ يُشْرَبَ فعلٌ من الأفعال معنى فعل آخر لقرابة بينهما ، وقد يكونان كلاهما متعديين بأنفسهما، أو يكون أحدهما متعديًاً بنفسه والآخر بحرف الجرّ أو يحلّ حرف أحدهما محل الآخر"[2]. ويلاحظ أن جواد قد خصّ التضمين بالأفعال وهو شامل جامع في بابه ومع ذلك لم يتطرق لوروده في الأسماء.وقد ذهب في تعريفه أيضًا أنَّ التَّضمين شمل المعاني دون النظر إلى القاعدة النحويّة، وبهذا فقد وضع قيدًا آخر في التعدية وهو النظر إلى المعنى المستفاد والتّعاقب بين معاني الكلمات الدلالية.

وقد عرّفه بدر الدين الزركشي[3] بأنه :" إعطاء الشيء معنى الشيء تارة يكون في الأسماء، وتارة في الأفعال ،وتارة في الحروف، فأما في الأسماء فهو أن يتضَّمن اسم معنى اسم لإفادة معنى الاسمين معًا، وأمّا الأفعال فإنْ تضّمن فعل معنى فعل آخر يكون فيه معنى الفعلين معًا، وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعدياً بحرف آخر ليس من عادته التعدي به، فيحتاج إمّا تأويله أو تأويل الفعل ليصح تعديه به"[4].

وقد علّق محمد خالد بي على تعريف الزركشي بأنه يشوبه شيء من الغموض وشيء من النقص .

(1) انظر مجلة مجمع اللغة العربية 181/1.
(2) دراسات في فلسفة النحو 98.
(3) هو محمد بن بهادر الشجاعي ناصر الدين توفي في شعبان سنة 763 كان رجلاً حسنا كثير التلاوة ، ينظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،18/4.
(4) البرهان في علوم القرآن 338/3.

فأما الغموض ففي قوله "إعطاء الشيء معنى الشيء"؛ إذ قد يُفهمُ منه إزالة المعنى الأصلي للفظ وإعطاؤه المعنى الجديد، كما أن كلمة شيء التي استخدمها في التعريف كلمة فضفاضة من غير اللائق استخدامها في المجال اللغوي.

وأما النقص ففي أنه قصر التضمين في الأفعال على حالة واحدة هي تضمين المتعدي بحرف معنى المتعدي بحرف جر آخر.[1]

وقد ردت عليه أحلام الصمادي في اعتراضه على عبارة الزركشي بأن التضمين إعطاء الشيء معنى الشيء قد يفهم منه إزالة المعنى الأصلي لا يستقيم ،وذلك لأن سوء الفهم قد يتبادر إلى الأذهان فيما لو كان يُعرف مفهوم آخر يدعى بالنقل، ولكن تقدمته للتعريف بذكر المعرف به وهو التضمين قرينة صريحة على دحض الاعتراض .

كما أن الاعتراض على كلمة شيء التي استخدمها الزركشي لا مسوغ لها ؛ ذلك لأن كلمة شيء قيدت وتضافرت حولها القرائن بما يزيل اللبس الذي قد يعتريها، فقد عبر عن المضمن بالشيء لعمومه وقدرته على استيعاب أنواع اللفظ المضمن .

أما بالنسبة لشبهة النقص فهي لا أساس لها ؛ لأنه لا يشترط في التعريف الإتيان على كل أجزائه ودقائقه وإنما يقتصر على أظهر أحواله الملابسة له.[2]

ومن الملاحظ أن تعريف الزركشي واضح مفهوم لا لبس فيه ولا داعي لإثارة أي جدل حوله؛ ولذلك تكون الصمادي قد أنصفته بدفاعها عنه، حتى وإن كانت كلمة (شيء) فضفاضة وكلمة (لفظ) أقرب لتحقيق المراد.

وعرّف مجمع اللغة العربية بالقاهرة التضمين بقوله:"التضمين أن يؤدي فعل أو ما في

(1) انظر محمد خالد بي ، التضمين النحوي بين القدماء والمحدثين رسالة ماجستير،94.
(2) انظر أحلام الصمادي، التضمين في القرآن الكريم رسالة ماجستير،50.

معناه في التعبير مؤدى فعل آخر أو ما في معناه، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم".[1]

وقد علّق الزعبلاوي[2] على هذا التعريف بقوله" أما تعريف المجمع القاهري للتضمين فقد جمع بين تعريفه البياني وكثيرًا مما قيل في التضمين النحوي. وهو لم يمنع ، على كل حال ، أن يجتمع للتضمين معنى الفعل المضمن، ومؤدى الفعل الآخر. ولو قيل:(التضمين أن يضمن فعل أو ما في معناه، معنى فعل آخر...) أو(أن يُشرّب فعل أو ما في معناه معنى فعل آخر...) لكان أدلّ على إرادة المعنيين ، لاشتراط ذلك عند الكثيرين. ففي لفظ التضمين احتواء شيء شيئاً آخر، وفي الإشراب جريان شيء في شيء...أو يضاف ما يفيد ذلك."[3]

ويرى الاسكندري في تعريف المجمع المذكور أنه شامل كلا التّضمينين النحوي والبياني، وبعيد قدر الإمكان عن مثار الجدل والاعتراض.[4]

وللوقوف على حقيقة الخلاف بين البيانيين والنحويين في تعريف التضمين، يرى أهل البيان أن التضمين صنف من أصناف الحذف ومن ذلك ما ذكره الميداني " لدى تحليل التضمين يظهر أنه صنف من أصناف الحذف الذي يترك في اللفظ ما يدل عليه ".[5]

ويرى النحاة أنه إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيعطى حكمه من التعدي واللزوم، وفائدته أن تؤدي الكلمة مؤدى كلمتين.وبناء على هذا " فإن أهل البيان يرون أن الفعل المذكور إنما يدل على معناه الوضعي، ويدل على المعنى الآخر لفظ محذوف، كالحال من الفعل المقدّر بمعونة قرينة لفظية، فيجتمع في التضمين معنيان، ولم يتصوروا إشراب الفعل المذكور معنى الفعل الملحوظ ليدل على المعنيين جميعاً كما فعل النحاة "[6] فالبياني هرب من كلمة إشراب التي

(1) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة 180/1.
(2) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.
(3)انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد 81/55.
(4) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة 182/1.
(5) البلاغة العربية 50.
(6) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد 55 / 66.

تؤدي إلى محذور الجمع بين الحقيقة والمجاز[1] إلى حذف حال من الفعل المذكور "فالفعل المذكور مستعمل في معناه الحقيقي والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ذلك ما هو من متعلقاته"[2]، ولا يدل هذا على وجود تباين بين النحاة وأهل البيان في دلالة التضمين، وذهب إلى هذا ابن كمال باشا إذ قال :"إن التضمين البياني هو عين التضمين النحوي"[3] كما ذهب إليه الاسكندري إذ يقول :"والحق أن لا فرق بين التضمين البياني والنحوي في حقيقة الاستعمال وإنما الفرق في اختلاف وجهة التأويل بين الفريقين"[4] وقد علق الاسكندري على تعريف مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأنه شامل لكل من التضمين النحوي والبياني وبعيد عن مثار الاعتراض[5]، ففيه هروب من كلمة الإشراب التي رفضها البيانيون.

وستعمد الدراسة في الجانب التطبيقي إلى التعريف الآتي للتضمين: إشراب لفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه في التعدية واللزوم لوجود مناسبة بين اللفظين المذكور والمضمن. ولإتمام الفائدة كان لا بد من التعرف على مفهوم التضمين في علوم العربية الأخر(العروضي والبديعي والبياني) حتى تتكامل المواد مع بعضها بعضًا.

(1) ينظر أحمد الاسكندري بحث بعنوان التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي 1/ 182.
(2) حاشية السيد الشريف على تفسير الكشاف 126/1.
(3) حاشية الصياف95/2
(4) الاسكندري بحث بعنوان التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي194/1
(5) المصدر السابق182/1.

قياسية التّضمين وشروطه:

أنس النحاة في تقرير قياس التضمين، بقول ابن جني:" اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بحرف، فإن العرب تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر. لذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه."[1]

كما أنس النحاة بقول ابن جني بعد هذا"ووجدت في اللغة شيئًا كثيرًا لا يكاد يحاط به ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابًا ضخمًا."[2] وقد استند جمع من العلماء إلى هذه الكثرة للحكم على التضمين بأنه قياسي، ونقل أبو حيان أن الأكثرين على أنه قياسي[3]، وفي (شرح التصريح على التوضيح) "اختلف في التضمين أهو قياسي أم سماعي والأكثرون على أَنَّه قِيَاسِيّ."[4]

ويرى أبو البقاء أنه سماعي، ولكن لشيوعه صار قياسيًا.[5]

أما مجمع اللغة العربية في القاهرة، فقد قرر قياسية التضمين بعد نقاش طويل ولكن بشروط ثلاثة هي :

أولاً : تحقّق المناسبة بين الفعلين.

ثانياً : وجود قرينة تدلّ على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمن معها اللبس.

ثالثاً : ملاءمة التضمين للذوق العربي.

ويوصي المجمع ألّا يلجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغي.[6]

---

(1) الخصائص 208/2.
(2) المرجع السابق 208/2.
(3) ارتشاف الضرب 46/2.
(4) شرح التصريح على التوضيح 5/2.
(5) الكليات 267.
(6) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة 195/1

وبهذا يَظْهَرُ أَنَّ قياسيّة التضمين معتبرة من خلال وجود قرائن، تُحَقّق الغرض بين الفعلين، وإن كان المجمع يوصي بذلك لغرض بلاغِيّ.

وشرح الشيخ أحمد الاسكندري هذه الشروط ووضّحها، فعلّق على الشرط الأول بقوله: (تحقق المناسبة بين الفعلين)، فرأى أَنَّه حاجز مانع من تحميل الفعل معنى بعيداً عن معناه الوضعي، بحيث تفضي تعديته بحرف ذلك الفعل البعيد المعنى إلى فساد الكلام، وعدم ضبط لمعاني الأفعال، فلا يجوز القول:(أكلت إلى الفاكهة)، على أن(أكل) مضمن معنى مال،و(تناولت عن القاموس) مضمنًا معنى(رميت)،بل لا بد من أن كلا المعنيين ينطويان تحت جنس يشملهما.[1] والهدف من ذلك اختلاف معنى كل من الفعلين.وقد ورد هذا الشرط في تعريفات التضمين تلميحًا أو تصريحًا، فقد صرح به ابن جني في الخصائص:"اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر" ولا يكون الفعل بمعنى آخر إلا إذا كان بينهما وجه مناسبة. كما أن تعبير ابن هشام عن التضمين بكلمة الإشراب ظاهر في ضرورة وجود مناسبة، فالإشراب لا يتم إلا بين المعاني المتقاربة. أَمَّا الصّبان والأمير في حاشيتيهما فينصان على ضرورة وجود مناسبة بين اللفظين. فالتضمين عندهما إلحاق مادة بأخرى في التعدي أو اللزوم لتناسب بينهما في المعنى أو اتحاد.[2]

وقد اختلف في نوع المناسبة المرجو تحقيقها بين اللفظين، فذهب الشيخ الاسكندري إلى أن المناسبة تكون بانطوائها تحت جنس واحد يشملهما ففي قوله تعالى:" **وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِالخوف أَذَاعُواْ بِهِ** "النساء:83 تضمن أذاعوا معنى تحدثوا فعدي بالباء والمعنيان متناسبان يشملهما جنس قريب.[3]

(1)المرجع السابق 196/1
(2) انظر التضمين في القرآن الكريم رسالة ماجستير 25.
(3) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة 196/1.

بينما ذهب الشيخ محمد الخضر إلى أن المناسبة هي العلاقة المعتبرة في صحة المجاز وإلا كان التضمين باطلاً.[1] وقد وافقه الزعبلاوي على هذا الأمر إذ يقول:"فالعلاقة المطلوبة بين المعنيين هي العلاقة التي قيدّ بها المجاز وقد عدّ العلماء العلاقات المصححة لاستعمال المجاز فأوصلها بعضهم إلى سبع وعشرين وزادها آخرون على ما هو مفصل في الأمهات."[2]

ونستطيع القول إنَّ المناسبة وجه عام يعم اللفظ المذكور واللّفظ المُضَمَّن، فظهور المناسبة بين الطرفين ظاهرٌ ظهوراً جلياً.

علق الاسكندري على الشرط الثاني :(وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللَّبس)، أنه الركن الأقوى في التضمين، إذ لولا القرينة ما عُرِفَ أن الفعل توسّع في معناه. وأشهر القرائن وأكثرها ورودًا حرف الجر الذي يتعدّى به الفعل، ولم يك من حقه أن يتعدى به، كـ (اللام) الداخلة على (مَنْ) في قول المصلي:(سمع الله لمن حمده) فـ (سمع) ينصب ما في معنى الكلام والصوت بنفسه فضمن معنى (استجاب)، فعدّي باللام، وكالمفعول لفعل أصله أن يتعدّى بحرف جر ، فعدّي بنفسه لتضمنه معنى فعل آخر يتعدّى بنفسه، وكالمفعول لفعل قاصر لا يتعدى مطلقاً، فضمن معنى فعل متعدّ بنفسه، نحو (سفه نفسه)، ضمن معنى (أهلك).[3]

ورأى أنّ تقيّد القرينة بأنها تمنع اللّبس، احترازاً مَّما لا تمنع اللّبس، بأن يفهم معها الاقتصار على المعنى الحقيقي من الملفوظ، ولا يُتطرّق إلى معنى آخر لفعل ملحوظ، وعلى ذلك فلا تضمين أصلاً في فعل يجوز فيه التعدي بنفسه تارة وبحرف الجر تارة أخرى، في مثل شكرت له وشكرته، ونصحت له ونصحته، ولا تضمين مُحَتّم في فعل ينصب مفعولين بنفسه، على رأي جماعة من النحاة، ويتعدى إلى الثاني بحرف الجر على رأي جماعة أخرى مثل

(1) دراسات في اللغة العربية وتاريخها 205.
(2) مسالك القول 211.
(3) مجلة اللغة العربية بالقاهرة 198/1.

(اختار واستغفر) فهذه سمعت متعدية إلى المفعول الثاني بنفسها، فمنع الجمهور القياس عليها في كل ما ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وجوّز الأخفش وابن الطراوة القياس عليها.[1]

ويبدو أن هذا الرأي هو الأحسن، وبُني الحكم وإن اعتمد على القِّلة في الرأي؛ ليوافق مفهوم التَّضمين الوارد في البحث، حتَّى تتسع دائرة الأفعال اللُّغوية، التي يُمْكن القياس عليها؛ ولأنَّ فيه بُعدًا عن الحكم بالزيادة، وعن تقدير الجار والمجرور المحذوف.

أما الشرط الثالث" ملاءمة التضمين للذوق العربي" فلم يعلق الإسكندري عليه على أنَّه واضح. وجاء النص عليه من محاضر جلسات مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي يبين أهميته بقوله:"وضعت كلمة الذوق البلاغي العربي اتقاءً لحذلقة بعض الناس مّمن خرجوا على قواعد اللغة وأساليبها حتى صار كلامهم يشبه الرطانة، فإذا جاءنا واحد من هؤلاء وقال: إن هذا ذوقي الخاص قلنا له: إنك تخالف الذوق العربي الذي لا يزال ثابتاً بحكم الفطرة والسليقة في البلاد العربية والذي يجري على قواعد اللغة والبلاغة ولا ينفر منها"[2]

ويمكن ملاحظة التجديد في ذلك؛ لأَنَّ الاعتماد على الذوق شيء، كيف يمكن الخلوص إليه؟ وترى الباحثة أَن ذلك رُبَّما عَمَد إلى:

- وجود دائرة لُغَوّية، تتسع بها دائرة الألفاظ.
- وجود أُطر احتجاجيَّة معادلة لذلك؛ فلا نخرج فيه عن العهد اللّغوي القديم.
- سِر الإعراب وفنونه وَنَظْمُه ونِظامُه؛ ولذا فقد غيّر المعنى فهم الإعراب وإتقانه.

(1) المرجع السابق 195/1
(2) النحو الوافي 592/2 نقلاً عن محاضر جلسات المجمع اللغوي القاهري.

- صِحّة المعنى ودقته؛ فلا بُدَّ من وجود الذوق الذي نَعْمَد إلى صحة المعنى من خِلال معجمات اللُّغة التي ما زال النَّاس يعمدون عليها إلى اليوم.

أما الشيخ الخضر حسين فقد ركز على شرط (مراعاة المناسبة بين الفعلين) فرأى أن للتضمين غرضاً هو الإيجاز وقرينة هي تعدية الفعل بالحرف وهو يتعدى بنفسه، أو تعديته بنفسه وهو يتعدى بالحرف، وكثرة الورود في الكلام المنثور والمنظوم تدل على أنه أصبح من الطرق المفتوحة في وجه كل ناطق بالعربية، متى حافظ على شرطه وهو (مراعاة المناسبة) ، فإذا لم توحد المناسبة بين الفعلين العلاقة المعتبرة لصحة المجاز، كان التضمين باطلاً، فإذا وجدت العلاقة بين الفعلين ولم يلاحظها المتكلم، بل استعمل فعل(أذاع) مثلاً متعديا بحرف (الباء) على ظن أنه يتعدى بهذا الحرف، لم يكن كلامه من قبيل التضمين، بل كان كلامه غير صحيح عربيّة، والكلام الذي يشتمل على فعل عدّي بحرف وهو يتعدى بنفسه، أو عدّي بحرف وهو يتعدى بحرف غيره. .[1]

ويُلاحَظُ من خلال النص السابق أَنَّ شرط المناسبة منظور بدلالة الوجه الذي تَتِمُّ فيه صحّة المعنى وهو الإيجاز من جانب، وقرينة تعدية الفعل بالحرف من جانب آخر، وإلاَّ لَمَا عُدَّ التضّمين صحيحًا.

ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي أن أخذ المجمع اللغوي بالقاهرة بقياسية التضمين كان للحاجة، لأن متطلبات العصر تستدعي أن تسعف العربية بمادة ضخمة حتى تساير الحياة الحاضرة ومتطلباتها المعقدة الكثيرة.[2]

(1) انظر دراسات في العربية وتاريخها 206/205.
(2) النحو العربي نقد وبناء 170.

أما المجمع العلمي العربي بدمشق فقد أقرّ قياسية التضمين أيضاً، ووافق في ذلك المجمع القاهري.[1]

وَبَعْد ذلك تظهر بوضوح فكرة مفادها، جواز الحكم بقيّاسية التّضمين لإقرار مَجْمع اللُّغة عليه، وهو أَدْعى ليُساير الحياة العصريّة الحاضرة ومُتَطلباتها؛ ولكن دون الخروج على قيود العربيّة الأصلية؛ ولأَن امتداد اللغة واتساعها يُبقيان الحاجة لذلك.

(1) انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق 206/26.

التّضمين وعلاقته ببعض المصطلحات:

تتشابه الظواهر اللغوية وتترابط فيما بينها؛ لأنها تدور في فلك علوم اللغة، فموضوعها هو اللغة العربية ؛ مفرداتها وتراكيبها، بيد أن هذا الترابط لا يمنع من أن تمتاز كل ظاهرة لغوية عن غيرها بسمات خاصة لا تشاركها فيها الظواهر الأخرى.

وبين أيدينا ظاهرة التضمين في الدرس النحوي، التي نرى أنها تستحق البحث والدراسة؛ لأن دراسة هذه الظاهرة وأمثالها تمكننا من معرفة كيفية تعامل العرب مع لغتهم، كما تدلّ على سعة اللغة العربية ومرونتها، وتبيّن لنا جوانب شَتَّى من جوانبها المضيئة التي فاقت بها لغات العالم قاطبة.

ومن هذه الظواهر المجاز، والكناية، والتقارض، والحمل على المعنى، لمعرفة مدى الترابط بين هذه المصطلحات والفروق بينها.

أولا: التضمين والمجاز :

وَضَّح الجرجاني مفهوم المجاز بقوله:"كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن قلت كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوّز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز. ومعنى الملاحظة هو أن تستند في الجملة إلى غير الذي تريده بها الآن، إلا أن هذا الاستناد يقوى ويضعف"[1]

(1) أسرار البلاغة 204.

ويوضح الجرجاني هذا المفهوم بالأمثلة فيقول :"إذا قلت: رأيت أسداً، تريد رجلاً شبيها بالأسد، لم يشتبه عليك الأمر في حاجة الثاني إلى الأول إذ لا يتصور أن يقع الأسد للرجل على هذا المعنى الذي أردته على التشبيه على حد المبالغة، وإيهام أن معنى الأسد حصل فيه إلا بعد أن تجعل كونه اسما للسبع إزاء عينيك، فهذا استناد تعلمه ضرورة، ولو حاولت دفعه عن وهمك حاولت محالاً فمتى عقل فرع من غير أصل ومشبه من غير مشبه به".[1]

ولم يخرج ابن الأثير عن المفهوم السابق، فقال معرّفاً له:" هو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى الموضع الآخر إذا تخطاه. كقولنا زيدٌ أسدٌ. فإن زيداً إنسان، والأسد هو هذا الحيوان المعروف، وقد جزنا من الإنسانية إلى الأسدية، أي عبرنا من هذه إلى هذه لوصلة بينهما، وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة".[2]

ويرى ابن كمال باشا أن التضمين لا يشتبه بالمجاز المرسل؛ لأن الأخير في رأيه مشروط بتعذر المعنى الحقيقي وهو غير متعذر فيه، غير أنه لا ينكر أن يكون التضمين ضرباً من المجاز بمعناه المطلق المقابل للحقيقة ومع ذلك فإنه يكاد ينفرد بالرأي القائل بأن التّضمين ركن مستقل من أركان البيان، شأنه في ذلك شأن الكناية والمجاز المرسل فقال:"فإن قلت هلّا يلزم أن يكون التضمين كالكناية والمجاز المرسل ركنًا مستقلاً من أركان البيان ولم يقل به أحد من أرباب هذه الصناعة قلت : نعم".[3]

(1) أسرار البلاغة 205.
(2) المثل السائر 106/1.
(3) ابن كما ل باشا رسالة في التضمين ، مأخوذة من التضمين في العربية 77.

وقد ذهب الزمخشري إلى القول بأن اللفظ المذكور مستعمل في حقيقته لم يُشَرَب معنى غيره وقد فسر السعد التفتازاني هذا القول بأن الزمخشري لا يرى في التضمين مجازاً، ولا جمعا بين الحقيقة والمجاز وأضاف قائلا: فإن قيل الفعل المذكور إن كان مستعملاً في معناه الحقيقي فلا دلالة على الفعل الآخر، وإن كان في معنى الفعل الآخر فلا دلالة على معناه الحقيقي، وإن كان فيهما جميعاً لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز".[1]

ويتضح مما سبق الفرق بين التضمين والمجاز ، ففي التضمين يكون المعنى الحقيقي والمعنى المشرب مقصودين ومطلوبين حتى يستقيم المعنى، أمّا في المجاز فالمعنى المذكور مستعمل على حقيقته لم يُشرب معنى آخر.

(1) النحو الوافي 567/2، 579.

ثانياً : التّضمين والكناية:

أخذت الكناية من رجال البلاغة والنقد اهتماما بالغاً، وقد عرّفها الجرجاني بقوله:"والمراد هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به عليه، ويجعله دليلاً عليه مثال ذلك قولهم (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة،و(كثير الرماد) يريدون كثير القِرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مخدومة لها من يكفيها أمرها ، فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ..."[1]

وقد عرّفها ابن الأثير بقوله:" كل لفظ دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز، والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن نتكلم بشيء ونريد غيره، يقال: كنيت بكذا عن كذا، فهي تدل على ما تكلمت به، وعلى ما أردته في غيره. وعلى هذا فلا تخلو إما أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة ومجاز، أو في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز، أو في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة"[2]

ومن خلال التعريف السابق للكناية يرى ابن كمال باشا أن الأمر في الكناية هو أن أحد المعنيين قد يكون مقصودًا على الحقيقة وقد يكون مقصوداً على الكناية، أما في التّضمين

(1) دلائل الإعجاز 52.
(2) المثل السائر 52/2.

فالأمر مختلف إذ إن التضمين لا بد من إرادة المعنيين بحيث يكون كل واحد منهما بعض المراد وليس تمام المراد كما في الكناية".[1]

وكما هو ملاحظ فإن الكناية تُعنى بالمعنى الواحد إما على الحقيقة، أو على الكناية، أمّا في التضمين، فالمعنيان كل واحد منهما جزء مما نريده، ولا يستقيم التضمين إلا بكلا المعنيين.

(1) ابن كمال باشا رسالة في التضمين ، مأخوذة من التضمين في العربية 77.

ثالثاً: التّضمين والتقارض:

التقارض لغة :- يرى ابن فارس أن (ق ر ض) أصل صحيح وهو يدل على القطع يقال: قرضت الشيء بالمقراض، والقرض: ما تعطيه للإنسان من مالك لتقضاه ، وكأنه شيء قد قطعته من مالك. والقراض في التجارة: هو من هذا، وكأن صاحب المال قد قطع من ماله طائفة وأعطاها مقارضة ليتجر بها.[1]

ويقال : إن فلانا وفلانا يتقارضان الثناء، إذا أثنى كل منهما على صاحبه. وكأن المعنى : أنّ كل واحد منهما أقرض صاحبه ثناءً كقرض المال.[2]

التقارض في الاصطلاح:- شرح ابن يعيش هذا التعريف بقوله:"هو أن كل واحد منهما – من الشيئين- يستعير من الآخر حكماً هو أخص به..."[3]

وقد عرّف عبد الله جاد التقارض بقوله: (هو أن يتبادل لفظان أهم صفاتهما، ويجري كل منهما مجرى الآخر عن طريق التضمين، أو الحمل على المعنى).

أو التقارض :(هو أن يجري أحد اللفظين مجرى الآخر في إعماله أو إهماله، والعكس صحيح).[4]

ومدقق النظر في تعريف التّضمين والتقارض يعرف أن اللفظ المتضمن أو المتقارض كليهما له معنى أساس، ويقوم بعمل معنى إضافي، أو رهن سياق محدد.

ويضاف إلى أوجه التشابه بين الظاهرتين ؛ أن المعنى مهمٌّ ورئيسيٌّ فيهما، كما أن التقارض مبناه على التضمين؛ فالتقارض ما هو إلا تضمين من اتجاهين متقابلين؛ أي لفظ

---

(1) مقاييس اللغة مادة قرض.
(2) لسان العرب مادة قرض.
(3) شرح المفصل 88/2، وينظر الكشاف 562/2، مغنى اللبيب 5 ، الأشباه والنظائر 176/1.
(4) ظاهرة التقارض في الدرس النحوي 11.

يتضمن معنى لفظ آخر، واللفظ الآخر يتضمن معنى اللفظ الأول، وهذا هو الفارق الدقيق بين التقارض والتضمين.[1]

وبهذا تخلص الدراسة إلى القول بأن التّضمين أوسع من التّقارض؛ لأن التّضمين يُعنى بالمعنيين، دون أن يُغْفِل أحدهما على حساب الآخر. وبهذا فهو أشمل وأعمَّ، وأمّا التقارض فهو أخص؛ لأنه يُعنى بالمعنى الثاني ويغفل المعنى الأول(الأصيل) ، ولإتمام الفائدة نورد مثالاً يُجَلِّي حقيقة المسألة.

أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ. فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ **وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعِ النَّاسَ.**[2]

(متى) شرط وجوابه (يسمع الناس) ولا معنى للاستفهام ههنا، وبذلك يكون التقارض قد حصل إذ لم تؤدِّ (متى) معنى الاستفهام بل شرطية، وفعل الشرط (يقم) وجوابه (يسمع الناس)، فجرت (متى) الاستفهامية مجرى أسماء الشرط في إعمالها.

(1) ظاهرة التقارض في الدرس النحوي 20 .
(2) صحيح البخاري ج1، 224.وصحيح مسلم ج1، 313.

رابعاً : التّضمين والحمل على المعنى :

الحمل على المعنى في الاصطلاح:- هو (أن يعطى حكم الشيء ما أشبه في معناه أو في لفظه أو فيهما)[1] أو (هو حمل لفظٍ على معنى لفظ آخر ، أو تركيب على معنى تركيب آخر؛ لشبه بين اللفظين أو التركيبين في المعنى المجازي ، فيأخذان حكمهما النحوي مع ضرورة وجود قرينة لفظية، أو معنوية تدل على ملاحظة اللفظ، أو التركيب الآخرين ويؤمن معها اللبس).[2]

ومن المقرر أن (حمل الشيء على الشيء في بعض أحكامه لا يخرجه عن أصله).[3] وعليه فإن المعنى يلعب دوراً محورياً ومهماً في ظاهرتي التضمين والحمل على المعنى، وذلك لأن العرب (يجرون الشيء مجرى الشيء إذا شابهه)[4] ويكون في الأعم الأغلب التشابه في المعنى أو اللفظ، وعن ذلك يقول ابن جني:(رأيت غلبة المعنى للفظ، وكون اللفظ خادما للمعنى مشيداً به، وأنه إنما جيء به له ومن أجله، وأما غير هذه الطريقة من الحمل على المعنى وترك اللفظ ، وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر، وإضمار الفاعل لدلالة المعنى عليه،... والحمل وغير ذلك حملاً عليه وتصوراً له، وغير ذلك مما يطول ذكره ويُمَلُّ أيسره؛ فأمر مستقر ومذهب مستنكر...)[5] فمن تذكير المؤنث قوله تعالى:"**إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ** " الأعراف:56 أراد بالرحمة هنا المطر فذكر(قريب) حملًا على المعنى،

(1) مغني اللبيب 674/2.
(2) الحمل على المعنى رسالة ماجستير 6.
(3) الإنصاف 142/1، وانظر الأشباه والنظائر 406/1.
(4) المرجع السابق 166/1.
(5) الخصائص 237/1.

ومن تأنيث المذكر قوله تعالى:"**تَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ**"[1] أنّث ذلك لما كان بعض السيارة سيارة في المعنى.

وعليه فقد اتضح لنا مدى الترابط بين التضمين والحمل على المعنى، في وجوه شتى كالاعتماد على المعنى، وقيام اللفظ بمعنى آخر إضافة لمعناه الأساسي في سياق بعينه. هذا لا يعني التطابق بين المصطلحين فكل منهما له ما ينماز به عن الآخر.[2]

التّضمين في مسائل النحو العربي

إن الحديث عن التّضمين في مسائل النَّحو العربيّ، يركز على التّضمين في (الأسماء والأفعال).

أولاً: التّضمين في الأسماء :-

قسّم النحاة الاسم إلى قسمين: معربٍ ومبنيٍّ، وجعل النحاة الاسم المعرب أصلًا، والمبني فرعًا، وفي عرفهم أن كل ما جاء على أصله لا يُسأل عن علته، ولذلك لا يسألون عن سبب إعراب الاسم؛ لأنه أصل فيه، ولكن إذا خرج عن أصله إلى البناء، فلا بد من تعليل هذا البناء[3]. ومن الأسماء التي عُلِّل بناؤها على أساس تضميني:

أسماء الاستفهام:-

إن الهمزة في نظرهم هي أصل حروف الاستفهام.[4] قال ابن الأنباري : "وأما (أين) و(كيف) فإنما بُنيا على الفتح؛ لأنهما تضمّنا معنى حرف الاستفهام؛ لأن (أين) سؤال عن

(1) يوسف10، وقراءة التأنيث قراءة الحسن ومجاهد وقتادة وأبي رجاء، أنظر البحر المحيط5/ 248،وانظر الأشباه والنظائر406/1.
(2) ظاهرة التقارض في الدرس النحوي 22.
(3) انظر التضمين في العربية، 46.
(4) انظر التضمين في العربية 47، 48.

المكان، و(كيف) سؤال عن الحال، فلمّا تضمّنا معنى حرف الاستفهام وجب أن يُبنيا".[1] وقال ابن يعيش:" وأما (أين) فظرف من ظروف الأمكنة،وهو مبني لتضمنه همزة الاستفهام".[2] فالهمزة هي أصل حروف الاستفهام، وباقي أسماء الاستفهام تتضمن معنى هذا الحرف لذا جاءت هذه الأسماء مبنية، وعلّل النحاة سبب بنائها تضمينها لمعنى حرف الاستفهام الهمزة.

أسماء الشرط:-

جعل النحاة (إنْ) هي أصل أدوات الشرط لذلك فإن ما عداها من حروف أو أسماء شرطية إنما هي فرع عليها، وهذا الفرع بطبيعة الحال متضمن لذلك الأصل. وعليه فقد عَلَّل النحاة سبب بناء أسماء الشرط أنها تضمنت معنى حرف الشرط (إنْ).[3] قال ابن الأنباري:" فأما (مَنْ) فإنها بُنيت لأنها لا تخلو: إما تكون استفهامية أو شرطية أو اسما موصولا أو نكرة موصوفة، فإن كانت استفهامية فقد تضمنت معنى حرف الاستفهام، وإن كانت شرطية فقد تضمنت معنى حرف الشرط".[4] وعدّ النحاة (إنْ) أصل أدوات الشرط وما عداها من أسماء الشرط وحروفه تضمّن معناها.

أسماء الإشارة :-

علّل النحاة بناء أسماء الإشارة لتضمنها معنى حرف الإشارة قال ابن الأنباري: "وأما (هؤلاء) فإنما بنيت لتضمنها معنى حرف الإشارة وإن لم ينطق به؛ لأن الأصل في الإشارة أن تكون بالحرف كالشرط والنفي والتمني والعطف إلى غير ذلك من المعاني، إلا أنهم لمّا لم يفعلوا ذلك

(1) أسرار العربية 32.
(2) شرح المفصل 104/4.
(3) انظر التضمين في العربية 48.
(4) أسرار العربية 30.

ضمنوا (هؤلاء) معنى حرف الإشارة فبنوْها"[1]، فهم افترضوا أن الإشارة كان ينبغي أن يوضع لها حرف يدل عليها، وهذا الافتراض مبني على فكرة الأصل والفرع التي سلف ذكرها، وبهذا تكون أسماء الإشارة متضمنة لمعنى هذا الحرف.

الأسماء الموصولة:-

ومن الأسماء التي وردت متضمنة معنى اسم آخر، الموصول المتضمن معنى الشرط الواقع مبتدأ، فيجوز في خبره أن يقترن بفاء جواب الشرط ،كما هو الشأن في جواب الشرط أحيانا. وعلل سيبويه ذلك بقوله:" وإنما جاز ذلك لأن قولك: الذي يأتيني فله درهم، في معنى الجزاء. فدخلت الفاء في خبره كما تدخل في خبر الجزاء"[2] فقد حمل سيبويه معنى الشّرط من خلال سياق المعنى الموصول الوارد في الاسم ولعل الجامع المشترك في ذلك وجود دلالة الإبهام والعموم في كل منهما، ومنه قوله تعالى :" **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ**"البقرة: 27. وقوله تعالى :"**وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ**" الطلاق:4. وفي العربية أسماء تؤدي معنى واحداً كالشرط مثلاً فيجوز فيها التقارض، أي إعمالها أو إلغاؤها حملا لبعضها على بعض لتضمّنها معنى واحداً. ومن ذلك (متى) الشرطية، فقد تهمل ولا تعمل الجزم في الفعلين بعدها حملا لها على (إذا) الشرطية غير الجازمة، وجعله ابن مالك نادراً في الشعر وكثيراً في النثر وأنكره أبو حيان، وقد يحدث العكس، فتعمل (إذا) الشرطية الجزم في الفعل بعدها حملا لها على (متى) في الدلالة على الشرط والزمن،[3] ومن ذلك قول الفرزدق:

---

(1) المرجع السابق 33.
(2) الكتاب 139/1.
(3) انظر التضمين في النحو العربي 449/ 450.

تَرْفَعُ لِي خِنْدفٌ واللهُ يَرْفَعُ لِيْ نَارًا إِذَاْ خَمَدتْ نِيْرَانُهُمْ تَقِدِ.[1]

وظهر التّضمين في بيت الفرزدق، حيث أخذت (إذا) معنى متى فعملت عملها في الجزم، فإن جملة (خمدت) في محل جزم شرط إذا، و(تَقِد) جوابها وهو مجزوم وكسرة الدال للروي.

(1) لم يرد في الديوان، انظر الكتاب لسيبويه ج5، 7، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب10.

ثانياَ : التّضمين في الأفعال :

حدد النحاة معنى الفعل اللازم ومعنى المتعدي، أما متى يصبح المتعدي لازما فقد عزا الأشموني ذلك إلى خمسة أشياء هي:- [1]

1- تحويل المتعدي إلى فَعُلَ بضم العين بقصد التعجب والمبالغة نحو ضرُب الرجل، وفهُم بمعنى ما أضربه وأفهمه.

2- الضعف عن العمل إما بالتأخير نحو قوله تعالى: "**إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**" يوسف:43

أو بكونه فرعاً في العمل نحو قوله تعالى:"**مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**" آل عمران :3.

3- صيرورته مطاوعاً نحو: مدّه فامتد.

4- الضرورة الشعرية نحو قول حسان بن ثابت:

تَبَلَتْ فؤادَكَ في الْمَنامِ خَرِيدَة تَسْقِي الضَّجِيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ[2]

ضمن (تسقي) معنى (تشفي) فعدّاه بالباء، فالفتاة التي أسقمت فؤاده في المنام تُشفيه من سقمه عندما تسقيه بثغرها البسَّام.

ومن ذلك قول ذي الرمة:

وإن تعتذرْ بالمحلِ منْ ذي ضروعِها إلَى الضَّيْفِ يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبهَا نصلْي[3]

فقد ضمن (يجرح) معنى (يفسد)، وجرح متعد، وفسد لازم فضمن المتعدي معنى اللازم بدليل تعديته بحرف الجر(في).

---

(1) انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني 95/2.
(2) ديوان حسان بن ثابت 213. تبلت فؤادك: أضنته وأسقمته،والخريدة من النساء: البكر التي لم تمسس قط، والبارد هنا الثغر.
(3) ديوان ذي الرمة ج1/ 23.

5- التّضمين.

فالتضمين النحوي سبب من أسباب تعدي الفعل ولزومه، وذلك بأن يُشَرّب فعل لازم أو أحد مشتقاته معنى فعل متعد ليتعدى تعديته "**وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ**" البقرة:235 . فقد ضمن (تعزموا) معنى (تنووا)، فعُدّي تعديته . أو أن يُشرب فعل متعدٍّ أو أحد مشتقاته معنى فعل لازم ليصير لازماً مثله " **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**" النور: 63. ضمن (يخالف) معنى (يخرج) فصار إلى اللزوم.[1]

والتضمين في هذا الموضع يرد على أوجه سنقوم بذكرها وإعطاء أمثلة عليها من القرآن الكريم وهي:[2]

الأول :- التضمين يجعل اللازم متعدياً والمتعدي لازماً:-

ومن الأفعال اللازمة التي جعلها التضمين متعدية قوله تعالى:" **سَفِهَ نَفْسَهُ**" البقرة: 130 تضمن(سفه) معنى (خاف) أو (امتهن) أو (أهلك) .

وقوله تعالى:"**وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**" التوبة:5 تضمن(قعد) معنى (لزم) .

ومن الأفعال المتعدية لمفعول التي جعلها التضمين لازمة قوله تعالى:"**وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**" الكهف: 28 تضمن معنى(تسهو) أو (تغفل) أو (تنبو عنهم).

"**أَذَاعُواْ بِهِ**" النساء: 83 تضمن معنى (أفشوا به) .

"**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**" الأحقاف:15 تضمن معنى بارك لي في ذريتي .

---

(1) انظر التضمين النحوي في القرآن الكريم 1/ 176، 177.
(2) انظر المرجع السابق 177/1، 199. وانظر منيرة الحمد التضمين في النحو العربي 453، 454.

الثـــــــاني :- يجعـــــل المتعـــــدي بنفســـــه متعـــــدياً بحـــــرف الجـــــر :- اركبوها كما في قوله تعالى: "**ارْكَبُواْ فِيهَا**" هود:41 تضمن معنى (دخل).

وكما في قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ**" البقرة:243 تضمن (تر) معنى (تنظر) أو (تلتفت).

وكما في قوله تعالى: "**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**" الفرقان: 77 تضمن (يعبأ) معنى (يكترث بكم).

الثالـــــث :- التضـــمين يجعـــل المتعـــدي بحـــرف الجـــر متعـــدياً بنفســـه :- كما في قوله تعالى:"**أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ**" هود:60 أي (كفروا بربهم) على تضمين (جحدوا ربهم) .

وقوله تعالى:"**يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ**" فاطر:10 أي بالسيئات تضمن معنى (يحيكون ويدبّرون).

الرابـــــع :- التضـــمين يجعـــل الفعـــل المتعـــدي بحـــرف متعـــديا بـــآخر :- كما في قوله تعالى:"**تَهْوِي إِلَيْهِمْ**" إبراهيم: 37 يعني تهوي لهم، تضمن معنى (تميل).

وقوله تعالى:"**وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ**" مريم:65 أي على عبادته، تضمن معنى اثبت لعبادته.

وقوله تعالى:"**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ**" الأنبياء: 77 أي على القوم، تضمن معنى (عصمناه وأجرناه ومنعناه).

الخامس :- التضمين يجعل الفعل متعدياً مرة ولازماً أخرى بحسب تأويلنا له وتوجيهنا لمعناه:- كقولـه تعـالى:"**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**" النصر:3 تـارة بحـرف الجـر، وتـارة بنفسـه "**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**"الأعلى:1.

والفعل (نادى) يأتي لازماً ويأتي متعدياً فاللازم كما في قوله تعالى:"**إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ**" آل عمران:193 ويأتي متعديا كقوله تعالى: "**وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً**". الأعراف:48

السادس :- التضمين يجعل الفعل المتعدي لمفعول متعدياً لمفعولين :- كقوله تعالى:"**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**" المجادلة:21 ضمن (كتب) معنى (أقسم) والقرينة هي الجواب لذا تعدى لمفعولين أقسم الله كاتباً لأغلبنّ.

وعُدّي (أخبر، وخبر، وحدث، وأنبأ، ونبأ) إلى ثلاثة، لمّا ضمنت معنى (أعلم، وأرى) بعدما كانت متعدية إلى واحد بنفسها وإلى آخر بالجار نحو قوله تعالى: "**أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ**" البقرة:33 وقوله تعالى: "**نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ**"الأنعام:143 لأن (أرأيتم) إذا ضمنت معنى (أخبروني) تعدت إلى مفعولين والغالب في الثاني أن يكون جملة استفهامية.[1]

السابع :- التضمين يجعل المتعدي لمفعولين متعدياً لواحد :- (علم) من أفعال اليقين بمعنى (اعتقد) يتعدى إلى مفعولين قال تعالى:"**فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ**"الممتحنة:10 فإن تضمن معنى (عرف) تعدى لواحد لقوله تعالى:"**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**" النحل:78 أي لا تعرفون شيئاً.

الثامن :- تضمين فعل الظن معنى فعل اليقين في الأمور المحققة :- قال تعالى:"**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ**"البقرة: 46 وقوله تعالى:"**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ**""ص:24

(1) البحر المحيط 245/5.

والظن متردد بين اليقين والشك فمتى رُئي اليقين أقرب استعمل مع (أنّ) المشددة، ومتى رُئي إلى الشك أقرب استعمل معه (أنْ) المخففة وإنما استعمل الظن بمعنى العلم في الآيتين السابقتين.

التاسع :- تضمين فعل معنى فعل آخر:-

1- تضمين قال معنى ادّعى، كما في قوله تعالى:"**مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ** "المائدة:116 فـ (ما ليس لي بحق) مفعول به للفعل (أقول) المتضمن معنى أدّعى أو أذكر.

2- تضمين (كتب أو أذن أو استجاب) معنى (قال)، قال تعالى:" **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ".الأنعام:54 ضمن (كتب) معنى (قال).

3- تضمين (دعا) معنى (صيّر) قال تعالى"**أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ**"مريم:91 ضمن (دعوا) معنى (صيروا).

العاشر :- تضمين الفعل الناقص معنى الفعل التام : قال تعالى:"**فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي**" يوسف:80 فـ (أبرح) تامة لأنها تضمنت معنى (فارق) . والأرض هنا مفعول به.

ناقشت الدراسة التضمين في الأسماء والأفعال أما في الحروف فلن تتطرق إليه، وذلك لأنه لا يحمل معنى بذاته، فقد عرفه الزمخشري بقوله :" والحرف ما دل على معنى في غيره، ومن ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه".[1] وعرفه المرادي فقال:" الحرف طرف في الكلام وفضلة

(1) المفصل 2/8.

ليس له معنى في نفسه، ولكونه لا يدل على معنى إلا في غيره افتقر إلى ما يكون معه، ليفيد معناه فيه".[1]

فيظهر لنا من ذلك أن المعنى الإفرادي للاسم والفعل هو في أنفسهما، والمعنى للحرف هو في غيره. فالباء مثلاً لا تدل على معنى الإلصاق، أو الاستعانة، أو التعليل أو المصاحبة أو البدل، أو السبب، أو الاستعلاء، حتى تضاف إلى الاسم الذي بعدها.

(1) الجنى الداني 23.

التضمين بين القدماء والمحدثين :

عُني بأسلوب التضمين طائفة من النحاة جلّهم من مدرسة البصرة التي رفضت مسألة تناوب الحروف التي اعتمدتها مدرسة الكوفة، وذلك أن التصرف في الفعل أسهل منه في الحرف كما قال ابن هشام: "التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف؛ لأن الحروف بابها لا يتصرف فيه"[1] ولا يعني هذا القول أن ابن هشام يميل إلى رأي البصريين إذ نجده في موضع آخر يقول: "ومذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ، كقوله تعالى: " **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** "طه:71 أن (في) ليست بمعنى (على)، ولكنه شبّه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء، أو على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف كما ضمّن بعضهم (شربن) في قول لأبي ذؤيب الهذلي:" شربن بماء البحر"[2] معنى (روين). و(أحسن) في : "وقد أحسن بي " معنى لطف، وأما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى.

وهذا الأخير هو مجمل الباب كله عند أكثر الكوفيين وبعض المتأخرين، ولا يجعلون ذلك شاذاً. ومذهبهم أقل تعسفاً".[3]

وقد جعل ابن هشام التجوّز في الفعل تعسفاً؛ لأن فيه تأويلا، ويلاحظ أن التضمين يُظهر ما في الكلام من بيان و بلاغة وإلا فما الفائدة من إنابة حرف عن حرف دون تعليل لتلك الإنابة. وقد وُجِّه إلى أسلوب تناوب الحروف كثير من عبارات النقد اللاذعة، فهذا

---

(1) مغني اللبيب 861.

(2) بيت لأبي ذؤيب الهذلي تمامه: شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج.
ورواية الديوان : تروت بماء البحر ثم تنصبت على حبشيات لهن نئيج.
انظر ديوان الهذلين ج1،51. وانظر شرح اشعار الهذليين ج1، 129. لجج : جمع لُجَّة وهي معظم الماء.نئيج : هو الصوت العالي المرتفع (لسان العرب: لجّ، نأج) والمعنى: يدعو لامرأة بالسُّقيا بماء سحبٍ موصوفة بأنها شربت من ماء البحر، وأخذت ماءها من لجج خضر، ولها في تلك الحال صوتٌ مرتفعٌ عالٍ، وأصل البيت من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله:"شربن بماء البحر". وهو حديث مقطوع. وقد ورد الحديث في خبر أبي سلمه.رواه الترمذي،رقم الحديث 1744. وانظر ما قاله الزركشي في البرهان ج3، 338.

(3) مغنى اللبيب 111.

ابن جني يقول: "هذا باب يتلقاه الناس معسولاً ساذجاً من الصنعة وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه"[1] وقد رفض أبو هلال العسكري مبدأ تعاقب الحروف؛ لأنها إذا "تعاقبت خرجت عن حقائقها ووقع كل واحد فيها بمعنى الآخر فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعاني".[2]

وقد انتصر كثيرون لنظرية التضمين في الأفعال لا الحروف، ومنهم ابن العربي الإشبيلي، إذ يقول :"وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينها من الارتباط والاتصال، وجهلت النحوية هذا، فقال كثير منهم : إن حروف الجر يبدل بعضها من بعض ويحمل بعضها معاني بعض، فخفي عليهم وضع فعل مكان فعل وهو أوسع وأقيس، ولجأوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال".[3]

وقد ضعَّف ابن عطية عند تفسيره للآيات في المحرر الوجيز قول من ذهب إلى تناوب الحروف إذ قال :"إنّ هذا يأباه الخليل وسيبويه وغيرهما"[4]، ولذلك يرى أنه لا حاجة تدعو إلى أن " نجعل حرفاً بمعنى حرف، إذ قد أبى ذلك رؤساء البصريين".[5] ويرفض ابن القيّم القول بتناوب الحروف، ويرى القول بالتضمين في الأفعال فقط.

(1) الخصائص 313/2.
(2) الفروق اللغوية 12، 13.
(3) أحكام القرآن 243/1.
(4) المحرر الوجيز 96/1.
(5) المرجع السابق 12/5.

وباب التضمين باب واسع في اللغة الأمر الذي جعل ابن جنّي يقول:"ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً، وقد عرفت طريقه فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به، فإنه فصل في العربية لطيف".[1]

كما عني بأسلوب التضمين أيضاً طائفة من المفسرين واستخدموه وسيلة من وسائل الكشف عن مقاصد الآيات الظاهرة والخفية، فقد بيّن الزمخشري الغرض من التضمين في تفسير قوله تعالى : "**وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** "الكهف: 28 فيقول:"يضمّنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه، ويستعملونه استعماله، مع إرادة معنى المتضمن."[2] وقال:" والغرض من التضمين إعطاء مجموع المعنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذّ ألا ترى كيف رجع معنى (ولا تعد عيناك عنهم) إلى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم.[3]

كما اهتم أبو حيان بالتضمين في تفسيره البحر المحيط إذ نجده يوجه عدداً من الآيات وفق هذا الأسلوب ومن ذلك تفسيره لقول الله تعالى: "**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**"المؤمنون:5، 6، فيقول :" و(حفظ) لا يتعدى بـ (على) فقيل (على) بمعنى (من)؛ أي إلا من أزواجهم كما استعملت (من) بمعنى(على) في قوله تعالى:" **وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**"الأنبياء:77 ؛ أي على القوم، قاله الفراء وتبعه ابن مالك وغيره، والأولى أن يكون من باب التضمين، ضمّن (حافظون) معنى (ممسكون) أو (قاصرون) وكلاهما يتعدى بـ (على)

(1) الخصائص 210/20.
(2) الكشاف 481/2.
(3) المرجع السابق 690/2.

كقولـه: أمسـك عليـك زوجـك".[1] وممَّـا يبـدو أن التّضـمين فـي مواضـع الآيـات الكريمـة، والأحاديث الشريفة، يخرج إلى منحىً آخر في هذا الباب، إذ نرى أن له موضعًا شرعيًا يطول بحثـه وتفصـيله هنـا، وهـذا المضـمون الشـرعي، إنمـا يعمـد إلـى النظـر فـي المقـام السّـياقي والدِّلالي لآيـات القرآن الكريم، وللأحاديـث النبويـة الشـريفة، حيـث يـرى بعض العلمـاء، أنّهـا ظاهرة تمرّ كما جاءت دون تأويل أو تبديل المعنـى؛ ولتوضيح المعنـى نضرب مثلاً، ما ورد فـي الحديث الشـريف:"**يَضْـحَكُ اللهُ إِلَـى رَجُلَـيْنِ يَقْتُـلُ أَحَـدُهُمَا الآخَـرَ**"[2] فالضـحك مثبـت لله تعالى، وإن كان من مقتضيات المعنـى المراد العجب، أوالرضـا والقبول، ومن أراد الاستزادة يمكنه الرجوع لشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين.

وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أفعالا تعدت إلى مفعول واحد لتضمنها معنـى مـا يتعدى إلـى واحد كمـا فـي قولـه تعالى:" **فَمَنْ عُفِـيَ لَـهُ مِـنْ أَخِيـهِ شَـيْءٌ**" البقرة: 178، فـ (شـيء) فـي هذه الآيـة كمـا يرى ابن عطيـة "مفعول بـه لـم يُسَمَّ فاعلـه، وجاز ذلك ... من حيث تقدر (عفي) بمعنى (ترك) فتعمل عملها"،[3] وأجاز في أفعال أخرى أن تتعدى إلى مفعول لتضمنها معنى ما يتعدى إلى مفعول واحد، ثم هي نفسها في موضع آخر تتعدى إلى مفعولين لتضمنها معنـى مـا يتعدى إلـى مفعولين كـ (جعل) التـي رأى أنهـا بمعنى (خلق) في قولـه تعالى: "**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا** "الأنعام:97 "لدخولها علـى مفعول واحد"[4] بينمـا يـذهب فـي قولـه تعـالى: "**الَّذِي جَعَلَ لَكُـمُ الأَرْضَ فِرَاشـاً** "البقرة:22 إلـى أن (جعـل) بمعنـى (صـيّر)؛ لتعـديها إلـى مفعـولين"[5] ويـرى أنـه قـد يضـمن مـا

(1) البحر المحيط 366/6، 367.
(2) صحيح البخاري 875/1، وصحيح مسلم32/13.
(3) المحرر الوجيز 246/1.
(4) المصدر نفسه326/2.
(5) المصدر نفسه 105/1.

يتعدى بنفسه معنى ما يتعدى بحرف جر فيسلك سبيله، كما في (قضي) الذي تعدى بـ (إلى) لما كان بمعنى (فرغ) و (فرغ) يتعدى بـ (إلى) ويتعدى باللام[1] كما في قوله تعالى: "**لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**"يونس:11. فالنَّظر عنده لا يقتصر على مفهوم الأحرف ذاتها، وإنمَّا يعمد إلى شيء آخر، ألا وهو تعدية المفهوم بالمفهوم، بمعنى الفعل الَّذي حلَّ محل الفعل، وقام مقامه في الدِّلالة اللُّغوية من جانبٍ والدّلالة المعنويّة من جانب آخر.

وكما كان مفهوم التضمين مداراً للخلاف بين القدماء فقد استمر هذا الخلاف بين المحدثين الذين انقسموا إلى قسمين منهم من يرى أن التضمين واقع في اللغة، ومنهم من أنكر وقوعه، وسنحاول الوقوف على آراء بعض المحدثين في أسلوب التّضمين.

ولعل من أكثر من قال بالتَّضمين هو الشيخ حسين والي[2] الذي دعا إلى فتح باب التّضمين أمام الباحثين والكتّاب في بحثه الذي قدمه إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فيقول: "والتّضمين مبحث ذو شأن في العربية، وللعلماء في تخريجه طرق مختلفة فقال بعضهم : إنه حقيقة، وقال بعضهم : إنه مجاز، وقال آخرون: إنه كناية، وقال بعضهم: إنه جمع بين الحقيقة والمجاز على طريقة الأصوليين؛ لأن العلاقة عندهم لا يشترط فيها أن تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، وقد وجدوا مخرجاً من هذا فقالوا: التضمين حقيقة ملوحة لغيرها.[3]

ويرد الشيخ حسين والي على أولئك الذين يدّعون أن فتح باب التضمين يجر الخطأ والفساد في اللغة فقال:" وأما القول بأن التضمين يفتح باب الخطأ والفساد في اللغة، فهذا صحيح ولكن علاج هذا أن يتعلم الناس قواعد لغتهم التي تعصمهم من الوقوع في الخطأ، فكما أن

(1) المصدر نفسه109/3.
(2) أحد أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة.
(3) النحو الوافي 209/2.

إغفال الاشتقاق والتصريف يجر الخطأ فيهما، كذلك يجر إهمال قواعد التضمين وضوابطه إلى الخطأ في الأسلوب.[1]

كما بيّن محمد الخضر حسين في بحثه الذي قدمه وألقاه على أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة أن للتضمين غرضاً وقرينة وشرطاً فقال:" للتضمين غرض هو الإيجاز، وللتضمين قرينة هي تعدية الفعل بالحرف وهو يتعدى بنفسه، أو تعديه بنفسه وهو يتعدى بالحرف. وللتضمين شرط هو وجود مناسبة بين الفعلين، وكثرة وروده في الكلام المنظوم والمنثور تدل على أنه أصبح من الطرق المفتوحة في وجه كل ناطق بالعربية متى حافظ على شرطه، فالكلام الذي يشمل على فعل عدي بحرف وهو يتعدى بنفسه، أو عدي بحرف وهو يتعدى بغيره يأتي على وجهين:

الوجه الأول :

ألّا يكون هناك فعل يناسب الفعل المنطوق به حتى تخرج الجملة على طريقه، ومثل هذا نَصفُه بالخطأ و الخروج عن العربية ولو صدرت عن العارف بفنون الكلام.

الوجه الثاني:

أن يكون هناك فعل يصح أن يقصد المتكلم لمعناه مع الفعل الملفوظ، وبه يستقيم النظم، وهذا إن صدر ممن شأنه العلم بوضع الألفاظ العربية، ومعرفة طرق استعمالها، حُمل على وجه التضمين الصحيح كما قال سعد الدين التفتازاني: فشمرت عن ساق الجد إلى اقتناء ذخائر العلوم، والتشمير لا يتعدى ب (إلى) فيحمل على أنه ضمن (شمر) معنى

(1) المرجع السابق 588/2.

(الميل) الذي هو سبب التشمير عن ساق الجد. من هنا نعلم أن من يُخطّئ العامة في أفعال متعدية بنفسها، وهم يعدونها بالحرف مصيب في تخطئته، وليس معنى هذا أن التّضمين سائغ للعارف بطرق البيان دون غيره،إنما أريد أن العارف بوجود استعمال الألفاظ لا نبادر إلى تخطئته متى وجدنا لكلامه مخرجاً من التّضمين الصحيح."[1]

ويَعدُّ محمد نديم فاضل من أكثر المتحمسين لأسلوب التّضمين إذ يقول في كتابه، التّضمين النحوي في القرآن الكريم :"والتّضمين مِن أنزه الفصول في العربية، فإذا تأملته عرفت منه وبه ما لحروف المعاني من أسرار يكشفها لك، ويظهر فيها مزيّة.... ترى الحرف مع فعل أو مشتق لم يألفه، فيوحشك الحرف ويبقى الفعل قلقاً، فإذا حملته على التضمين تمكّن الفعل وآنسك الحرف."[2]

أمَّا صلاح الدين الزعبلاوي فقد جاء رأيه أكثر اعتدالاً إذ يقول:" إن ملاك الأمر في هذا الباب أن يُحمل الفعل في تعديته ولزومه على أصله. فإذا تعذر ذلك لقرينة مانعة، حُمل على وجه من المجاز بشروطه المصححة لاستعماله أو التضمين بمراعاة حدّه وتحقيق غرضه. ولا بد في كل ذلك من إنعام الفكر وإعمال الروية، ليخلص الرأي من كل شائبة، ويصفو من كدر أو معابة".[3]

أما الفريق الثاني الذي تناول موضوع التضمين بالنّقد فمنهم عبد الله العلايلي الذي يرى أن في التعدي واللزوم ظاهرة من ظواهر قلق العربية وعدم استقرارها فيقول:"لما غمض على علماء العربية وجه تعدية بعض الألفاظ ولزومها احتالوا بضروب من الحيلة حتى يستوي في ملحظ مع ما يبدو من الاختلاف، وكذلك انتهى بهم الإجهاد العقلي والتفكير

(1) أنظر دراسات في العربية وتاريخها 205.
(2) أنظر التضمين النحوي في القرآن الكريم 10/1.
(3) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 107.

الطويل إلى ما دعوه بالتّضمين النحوي، وهو بدون شك افتراض قدّره النحوي ليعلّل به هذه الظاهرة الغامضة، ودائماً كان الافتراض سُنة الشرح والتفسير، فالنحوي لما أخذ يحدد مفاهيم الأدوات وانتهى إلى أنّ (على) تفيد الاستعلاء، و(في) الظرفية ، و (الباء) الإلصاق، اعترض بأمثلة لا يمكن أن تخرج على معانيها أو خصوصيتها فكان معقولاً وهو (لا يُقدر بأن للعربية أدواراً عاشت فيها فقد تكون متخلفات) أن يُقدر شيئاً آخر، فقدر التضمين واقتنع به، واطمأن إليه في كثير من اليقين، ولأنّ كل القصد قد كان تفسير وجه النحو الذي نسب إليه، ولما قويت حركة البيان أخذوا هذا التضمين على وجه آخر وسموْه بياناً وهو يقوم على ملاحظة معنيي لفظ المضمن والمضمن فيه".[1]

والملاحظ أن (العلا يلي) برأيه هذا لم يوجه النقد لأسلوب التضمين فقط بل ينال بذلك من الأساليب الأصلية في العربية فهو يشكك في الموروث اللغوي الذي تناقلته الأجيال، أمّا النحاة فقد أقروا أسلوب التضمين عندما انتهت بهم ملاحظاتهم أن هناك ألفاظاً في العربية كثر تعديها على نمط معين.

أما الدكتور إبراهيم السامرائي فينتقد التضمين البياني عند الزمخشري، ويعلّق على تفسيره للتضمين في قوله تعالى:"**وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**"الكهف: 28 فيرى أن حقيقة التضمين عنده قائمة على أساس ضعيف، إذ كيف يجوز أن يتضمن الفعل في جملة واحدة معنيين، وأنه لم يفت هذا الاضطراب المعنوي على الأقدمين أنفسهم، ويستشهد السامرائي على اضطراب النحاة في تفسير التضمين بما ورد في الأشباه والنظائر من أقوال متضاربة،

(1) انظر مقدمة لدروس لغة العرب 243،244.

تظهر بوضوح مدى حيرة الأقدمين إزاء الاستعمالات والأساليب، وعدم اتفاقهم على حقيقة التضمين وطريقته.[1]

فالتضمين في رأيه شأنه شأن كثير من مسائل اللغة والنحو لم يسلم من التفكير الفلسفي والمنطقي فقال:" وكان تأثيره في النحو واللغة سلبياً فقد أحال كثيراً من الأبواب اللغوية والنحوية مادة جامدة بعيدة عن الحياة، وبعيدة عن طبيعة اللغة السهلة السمحة ومن أجل هذا ظهرت في علوم العربية قواعد وأحكام لم تكن وليدة الاستقراء الشامل الواسع للغة كقولهم إن الفعل كذا يأتي لمعنى ولا يأتي لغيره، وهكذا فإذا فطنوا أن هذا الفعل وذلك الحرف قد أتيا على غير ما ذكروا، فزعوا إلى طريقتهم ومنهجهم يؤولون ويعللون".[2]

ويرى أن القدماء لم يدرسوا التضمين وفق منهج سليم يفضي إلى نتائج معقولة، ومن ثم اضطربوا في تحديد مفهومه وضبطه فقال :" وبحث التضمين الذي ندرسه يظهر اضطراب علماء العربية القائلين به، فهناك نصوص تندّ عما وضعوه من أحكام وقيود لم يجدوا إلى حلها غير القول بالتضمين، ولا بد للباحث في علم الدلالات بغية الإفادة منه في اللغة العربية أن يعاني صعوبة البحث إذا ما أراد أن يخلص للمنهج السليم ولا سيما في عصورنا الحديثة"[3]، كما انتقد أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة لأنهم " لم يدرسوا التضمين دراسة أسلوبية حديثة."[4]

ويلاحظ أن السامرائي يرجع القول بالتضمين إلى منهج الباحثين في علوم العربية المتأثرين بالمنطق والفلسفة، ويدعو إلى دراسة التضمين تحت باب دلالات الألفاظ وفق دراسة أسلوبية حديثة وصياغة معجم تاريخي للألفاظ العربية ودلالاتها. وقد ردت عليه

(1) انظر النحو العربي نقد وبناء 167، 168.
(2) انظر فقه اللغة المقارن 208.
(3) المرجع السابق 209.
(4) المرجع السابق 216.

الصمادي بأن تقسيم النحاة مخالف لتقسيمات الفلاسفة، والتضمين كذلك نشأ في البيئة العربية بعيداً عن التأثر بالفلسفة وتقسيماتها، فالتضمين من المفاهيم التي تداولتها ألسنة النحاة من القديم كالسيوطي والأصمعي والمازني، ولم تك ترجمة الفلسفة في ذلك الوقت قد استوى عودها لتؤثر على علوم العربية فتحيلها إلى أثر من آثارها. ومما يؤكد أصالة نشأة أسلوب التضمين ورود مفهومه في كتاب سيبويه.[1]

أما دعوته إلى وضع معجم تاريخي للألفاظ العربية ودلالاتها فيرد عليه أحمد حسن حامد[2] في كتابه التضمين في العربية إذ يقول:" أما النتيجة الثانية فهي أشبه بالفكرة التي نادى بها عباس حسن ولكن على الرغم من فائدتها إلا أن تحقيقها من الصعوبة بمكان بحيث لا نستطيع أن نحققها إلا على أساس افتراضي؛ بمعنى أن نفترض أن هذا الفعل أسبق في الوجود من ذاك، هذه النتيجة الافتراضية في رأينا ستجعلنا نبني معجماً تاريخياً غير سليم ".[3]

ويطرح تساؤل، هل يبني السامرائي منهجه على أساس سليم؟

فالحق أن دعوته لدراسة التضمين بطريقة حداثية، إنمَّا هي دَعْوة لتحرير اللُّغة تحت دِلالاتها وفق الدّراسات الأسلوبية الحديثة، وإن فكرة الدّراسات تِلْك، تعدّ تقليلًا من قيمة من قال به من القدماء مثل السيوطي والأصمعي والمازني وغيرهم، فقد قالوا به بناء على فهم سليم لِلُّغة وأسلوبها.

(1) انظر التضمين في القرآن الكريم – رسالة ماجستير 78، 79، 80.
(2) رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني وعميد كلية الآداب سابقاً.
(3) انظرالتّضمين في العربية 90.

وتظهر الأقوال السابقة وجود التّضمين حقيقة؛ لأنَّ في ذلك امتدادًا لأصالة اللُّغة العربية حيث قالبت اللُّغة أمر المعاني والنَّظر فيها، وهو حقيقة يُظْهِر الكم المُعجمي الهائل لدلالات المفردات العربيّة، فاللُّغة تُستعمل حيث أرادها المستعمل بوضوح وجلاء.

وخلاصة القول أنَّ التّضمين في اللغة معروف بداهة، ولا يَحُوج الشخص صعوبة فَهْمِه والبحث عنه، وإنما هو أمرٌ يُسَلِّط الضَّوء على سعة اللُّغة، ومدى دقتها في الأُسلوب.

الفصل الثالث

الدراسة التطبيقيّة

ستعمد الدراسة في هذا الفصل إلى تقسيمه في مطلبين رئيسين هما:

المطلب الأول : رصد شواهد التضمين في الصحيحين، وقد تم رصدها في جداول إحصائية في الصفحات الأخيرة من الرسالة.

المطلب الثاني: دراسة دلالية بيانيّة (تطبيقية) لشواهد التضمين في الصحيحين.

دراسة دلالية بيانيّة (تطبيقية) لشواهد التضمين في الصحيحين

بعد الوقوف على مفهوم التضمين وأنواعه وعلاقته بعلوم البلاغة، خلصت هذه الدراسة إلى وجود التضمين في الأسماء والأفعال أما في الحروف فتميل الدراسة إلى تغليب رأي البصريين، الذين يرون المواضع التي وردت فيها نيابة حرف عن حرف آخر في المعنى أنّ الحرف باقٍ على معناه، ولكن الفعل متضمن معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف؛ لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف، والتضمين في هذا الموضع يرد على عدة أوجه، وستعرض الباحثة إلى مناقشتها عند الحديث عن التضمين في الأفعال من هذا الفصل.

أما البصريون فيلجأون إلى طرق مختلفة لتخريج الحرف الوارد في غير معناه، وقد ذكرها ابن هشام في قوله:" ومَذْهَب البصريين أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس،

كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك، وما أَوْهَمَ ذلك فهو عندهم إما مؤوَّل تأويلاً يقبله اللفظ، وإمَّا على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، وإمَّا على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى".[1]

فالبصريون يمنعون تناوب حروف الجر ويلجأون إلى الطرق التي ذكرها ابن هشام.وَيَظهر من خِلال النص السابق، أَن البصريين يَعْمَدون إلى عدم تناوب أحرف الجر، وإن ورد خلاف ذَلِكَ لدى النحويين، فقد ظهر لدى ابن جني في كتابه الخصائص ما يُسَمّى بتعاقب حروف الجر، وَلكِنَّ الدراسة هذه ليست دراسة خِلافٍ لمذاهبِ العلماء، وإنما سَتَعْمَدُ إلى تسليط الضوء على غير ذلك، مِمّا سيظهر لاحقا من خلال صفحات الدراسة التطبيقيّة، وقد لجأ البصريون إلى مسالك أخرى منها إنابة لفظةٍ عن أُخرى- على شذوذها-، وإن ورد فهو مِمّا يَقَعُ على تأويل اللفظ؛ لأن اللفظ يقبل تأويله.

وقد تم ترتيب هذه الأحاديث وفقاً لورودها في صحيح الإمام البخاري، حيث التنسيق والترتيب؛ لأَنَّ صحيحه من حيث الترتيب أَسْهَل في تناول الحديث، إضافَةً إلى أنَّ ابن حجر العسقلاني ما أَغفل التضمين في شرحه للصحيح، إذ كان يشير إلى ذَلِكَ، الذي قَعَدَ عنه شارح صحيح مسلم، الإمام النووي- رحمه الله-.

وستتناول الدراسة مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة في صحيحي البخاري ومسلم بالبحث الدلالي الذي يقصد به، الوقوف على مواطن اللفظ المتغيّر نفسه، حيث ينتقل اللفظ من موضع إلى آخر؛ ليكسب المعنى من حيث وجوده في الجملة، ولن يقف هذا المبحث على الحقول الدلاليّة، حتّى لا ينصرف الذهن إليها وإن كان، فالمقصد من الدراسة التطبيق، بما

(1) انظر مغني اللبيب، 150 .

عَنْونته الباحثة في بداية الفصل، ومن أراد الاستزادة فما عليه إلّا أن يرجع إلى كتاب (علم الدلالة) للدكتور فايز الداية.

وإن عمدت الدراسة في الاستشهاد إلى ذِكْر الحديث كلّه، فليس ذَلِك من باب الإطالة، ولكن حتّى يكون النص متكاملًا واضحًا، فإن بُتر النص، أصبح غير مفهوم، وَوُجد عندها في بعض المواضع ذكر طرف الحديث عوضًا عن نَصّه الكامل؛ لأن ذلك يخدم موضع الشاهد والشَّرح.

التّضمين في الأسماء

التّضمين كما سبق تعريفه، هو أن يتضمن لفظ معنى لفظ آخر، فيعطى حكمه في الإعمال أو الإلغاء.

ويرد التضمين على عدة أوجه، فقد يكون اللفظ اسمًا متضمنًا معنى اسم آخر، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «**فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ دُخُولَ الجَنَّةِ وَالفَوْزَ مِنَ النَّارِ**»[1]، فقد ضمن (الفوز) معنى (النجاة)، وتأويله تمام النعمة دخول الجنَّةِ والفوز نجاة من النَّارِ .

وقد يكون اللفظ اسمًا متضمنًا معنى اسم آخر، كالمبتدأ المتضمن معنى الشرط في المعنى، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: " **ومن أصاب من ذلك شيئًا**"[2] ، فالاسم الموصول مُتَضَمّنٌ معنى الشرطِ، ويجوز في خبره أن يقترن بفاء جواب الشرط كما في قوله عليه الصلاة والسلام " **مَنْ كذبَ عليَّ فَلْيتَبوّأ مقعده من النّار** "[3] ضمن (منْ) الموصولة معنى الشرط فعطف عليها بالفاء وعلل سيبويه ذلك بقوله :" وإنما جاز ذلك؛ لأنّ قولك: الذي يأتيني فله درهم، في معنى الجزاء. فدخلت (الفاء) في خبره كما تدخل في خبر الجزاء "[4]. وبذلك فقد جمع سيبويه بين دلالة الإبهام والعموم، وهذه وقفة جميلة عنده، فلم ينظر إلى حدود القاعدة اللغوية ومساحتها التي تُوجب الحصر في مواضِع اقتران الفاء الشرطية. ووجه الشبه بين الاسم الموصول واسم الشرط هو الدلالة على الإبهام والعموم؛ فمتى تضمن الاسم الموصول الواقع مبتدأ معنى الشرط في إبهامه وعمومه جاز اقتران خبره بالفاء.

---

(1) سنن الترمذي541/5.
(2) صحيح البخاري30/1.وصحيح مسلم124/16.
(3) صحيح البخاري61/1.وصحيح مسلم65/1.
(4) سيبويه الكتاب139/1.

نماذج تطبيقية من الحديث النبوي الشريف على التّضمين في الأسماء

تضمين الموصول معنى الشرط

قَالَ رَسُولَ اللَّـهِ صلّى الله عليه وسلم ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّـهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّـهِ ، **وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً** فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، **وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا** ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ[1].

ورد في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من أصحابه، أن يبايعوه على أن لا يشركوا بالله، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان، كالرمي بالزنا والفضيحة والعار ، وأن لا يعصوا في معروف ، فمن ثبت فأجره على الله، وأن من أصاب منكم أيها المؤمنون من ذلك شيئاً غير الشرك فعوقب في الدنيا أي أقيم عليه الحد، فالعقاب كفارة له، أما من أصاب شيئاً ثم ستره الله فهو مفوض إلى الله تعالى، إن شاء عفا وإن شاء عاقبه.

ولفظة (مَنْ) الموصول المتضمن معنى الشرط عطف عليها بالفاء، و(شيئًا) مفعول أصاب الذي هو صلة الموصول، وهي نكره تفيد العموم؛ لأنها في سياق الشرط.

---

(1) صحيح البخاري ج30/1وصحيح مسلم ج16/ 124. البهتان: التي ظهرت بمعنى الافتراء، أصاب : أي أخذ من ذلك ويقال أصاب الإنسان من المال وغيره أي أخذ وتناول وفي الحديث: يصيبون ما أصاب الناس أي ينالون ما نالوا¨ لسان العرب، بَهَتَ، صوب.

و(مَنْ) في الأصل اسم موصول مشترك ، والأصل فيه أن يكون للعاقل، وَوَرد في التنزيل قوله تعالى:" **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** " سورة النور: 41 وهنا اختلط العاقل مع غير العاقل. ثم ضمنت معنى الشرط ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

ومَنْ لم يُصانِعْ في أمورٍ كَثيرَةٍ يُضَرَّسْ بأنْيابٍ ويُوطأ بمَنْسِمِ [1]

والشاهد في (مَنْ) اسم شرط جازم لفعلين، وفعل الشرط (لم يصانع) كلها في محل جزم، وجواب الشرط (يُضرَّسْ) وما عطف عليه.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:" **وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**"النساء:74.و(مَنْ) في الآية تضمنت معنى الشرط، فاقترن جواب الشرط بالفاء.

وعندما تضمنت (مَنْ) معنى الشرط أضافت دلالة جديدة على معناها، فقد كانت تختص بالعاقل ولكنها هنا أفادت العموم لكل من أصاب شيئاً مما ذكره الرسول عليه الصلاة والسلام واشترط لهم العقاب.

وَقَد وردت (مَنْ) الموصولة المتضمنة معنى الشرط في أكثر من موضع في صحيحي البخاري ومسلم ،وعليه– قوله صلى الله عليه وسلم: "**مَن يُرِدِ الله به خيراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**"[2].

(مَنْ) أي الذي (يُرِدِ الله به خيراً) بنصب مفعول (يرد) المجزوم؛ لأنه فعل الشرط إذ الموصول متضمن معنى الشرط وَكُسِرَ لالتقاء الساكنين، وجواب الشرط (يُفَقِّهْه) فالهاء ساكنة.

---

(1) ديوان زهير بن أبي سلمى،108. يُضرَّسْ : الضِّرْسُ: السن الطاحنة، والضَرْسُ العض الشديد بالأضراس، أي يطحن بالأضراس. والمنسم: خُفُّ البعيرِ القاموس المحيط ، والمعجم الوسيط ضَرَسَ، نسم.

(2) صحيح البخاري ج1/ 50. الفِقْهُ : العلم بالشيء والفهم له، وغلب على عِلم الدين لسيادته وشرفه وفَضْلِه على سائر أنواع العلم، والفِقْهُ في الأصل الفَهْم. يقال: أُوتي فلانٌ فِقْهاً في الدين أي فهماً فيه. فَقَّهَهُ: صيّرَهُ فقيهاً، انظر لسان العرب، والقاموس المحيط والمعجم الوسيط فَقِهَ.

– وقوله صلى الله عليه وسلم" **مَنْ نُوْقِشَ الحِسَاب يَهْلِكْ**"[1] وَيَظْهَرُ أَنّ المعنى المختار هو الاستيفاء، فَمَن استوفى حسابه، وكان على غير طريق الحَقِّ عُذِّبَ، أو كما ذكر عليه السلام.

والمعنى أن تحرير الحساب يفضي إلى استحقاق العذاب؛ لأن حسنات العبد متوقفة على القبول، وإن لم تحصل الرحمة المقتضية للقبول لا تقع النجاة.[2] و(مَنْ) الموصول المتضمن معنى الشرط،(الحساب) بالنصب على المفعولية أي من ناقشه الله الحساب أي من استقصى حسابه (يهلِكْ) بكسر اللام وإسكان الكاف جواب من الموصول المتضمن معنى الشرط، ويجوز رفع الكاف لأن الشرط إذا كان ماضيًا جاز في الجواب الوجهان كما ورد في شرح ابن عقيل " فإذا كان الشرط ماضيًا والجزاء مضارعًا جاز جزم الجزاء، ورفعه وكلاهما حسنٌ فنقول: إن قام زيدٌ يقمْ عمرو، ويقومُ عمرو "[3]

وقوله صلى الله عليه وسلم "**مَنْ كَذَبَ عليَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّار** "[4].

و(مَنْ) موصول متضمن معنى الشرط ،(كذب) صلته (فليتبوأ) جواب الشرط.

ومعناه من كذب على الرسول صلى الله عليه وسلم فلينزل وقيل فليتخذ منزله من النار[5]. ودلَّ ذلك على تعظيم تحريم الكذب عليه صلى الله عليه وسلم وذلك لعظم مفسدته، فإنَّه يصير شرعاً مستمراً إلى يوم القيامة، بخلاف الكذب على غيره والشهادة فإن مفسدتها قاصرة وليست عامة.

---

(1) صحيح البخاري ج1/ 60 ، صحيح مسلم ج17/ 171. نوقش : ناقشه مُناقشة ونِقاشاً : استقصى في حسابه والمناقشة الاستقصاء في الحساب، حتّى لا يُتْرَك منه شيء ونوقش من المناقشة وأصلها الاستخراج، ومنه نقش الشوكة إذا استخرجها: انظر لسان العرب ، القاموس المحيط، المعجم الوسيط، نَقَشَ.

(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج1/ 283 وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج11/ 294 وصحيح مسلم بشرح النووي ج17/ 171.

(3) شرح ابن عقيل ج2/ 373.

(4) صحيح البخاري ج1/ 61 وصحيح مسلم ج1/ 65. فليتبوأ : وأباءَه منزلاً وبَوّأه فيه، بمعنى هَيَّأه له وأنزله ومكَّن له فيه، وفي الحديث معناها : لينزل منزله من النار.

(5) انظر فتح الباري ج1/ 243وإرشاد الساري ج1/ 301وصحيح مسلم بشرح النووي ج1/ 65.

وفي الحديث " **مَنْ يُصْرَعُ في سبيل الله فمات فهو منهم** "[1].

ومعناه من مات في سبيل الله فهو من المجاهدين أي يحصل الثواب بقصد الجهاد إذا خلصت النية وإن حال بين القاصد وبين الفعل مانع. و(مَنْ) موصولة متضمنة معنى الشرط فعطف عليها بالفاء، وعطف الفعل الماضي (مات) على المستقبل (يصرع) وكان نسق الكلام أن يقول من صرع فمات أو من يصرع فيموت، وجواب الشرط قوله (فهو منهم)[2].

وقد تضمنت (ما) الموصولة معنى الشرط في قوله صلى الله عليه وسلم: "**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ**"[3].

وفي الحديث أن أُناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاهم حتى نفد ما عنده، فقال لهم الرسول ما يكون لي من مال ، فلا أدخره عنكم ،وإنه من يكف عن السؤال يرزقه الله بما يغنيه عن السؤال.

و(ما) موصولة متضمنة معنى الشرط،وهي في الأصل من الأسماء الموصولة المشتركة، والأصل فيها أن تكون لغير العاقل، وقد تستعمل للعاقل، ومنه قوله تعالى "**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**" الحشر:1 وهنا اختلط العاقل مع غير العاقل، أمّا (ما) التي جاءت في قوله تعالى" **فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء** " النساء:3. فقد استعملت للعاقل فقط، ومَّما ضُمّن معنى الشرط ما جاء في قوله تعالى: " **وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ**"البقرة:197 .

ومن الملاحظ في الشواهد السابقة أن (مَنْ ، ما) عندما تضمنتا معنى الشرط أضفتا دلالة جديدة على المعنى، فكأنما انتقل الموصول إلى معنى الشرط، ولا غَرْو في أَنَّ صلة الموصول

---

(1) صحيح البخاري ج2/ 866 يُصْرَعُ : الصَّرْعُ الطرح بالأرض ويقال: صرعته المنية، انظر لسان العرب،صَرَعَ.
(2) انظر فتح الباري ج2/ 22 وارشاد الساري ج6/ 293.
(3) صحيح البخاري ج4/ 203. خير: المال الكثير الطيب، ادخره: أي احتفظ بجزء من الدخل للمستقبل. انظر لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط، دخر، الخَيرُ.

لا توازي معنى الشرط في الدلالة أو المفهوم، فثَمَّة فرق بينهما، فالموصول تَعُوزه صلته خلافًا للشرط الذي يعوزه جوابه، فقد ظهر في بعض الشواهد معنى اختصاص العاقل مثل (مَنْ) لتفيد العموم.

والشرط من الأساليب الدلالية الأسلوبيّة، إذ عدَّه بعض الباحثين قضية من القضايا الأسلوبيّة، التي أثارت اهتمام الدرسين النحوي والبلاغي في سياق الجمل المركّبة[1].

وبالنظر إلى الشواهد السابقة نلاحظ عدم اقتران جواب الشرط بالفاء في بعض هذه الشواهد وبالرجوع إلى القاعدة اللغوية نرى أنها توجب الحصر في مواضع اقتران الجواب بالفاء الشرطية وهذه المواضع هي :

- الجملة الاسمية.
- الجملة الطلبية مثل (الأمر، النهي ، الاستفهام).
- الجملة التي يأتي في أولها فعل جامد مثل (عسى، ليس، نعم، بئس).
- الجملة التي يأتي في أولها حرفا النفي (ما ، لن).
- الجملة التي يأتي في أولها أحد حرفي الاستقبال (السين ، سوف).
- الجملة التي يأتي في أولها الحرف (قد).[2]

وتجمع في البيت الشعري الآتي:

اسمية، طلبية، وبجامد وبما ولن، وقد، والتسويف

(1) انظر اللغة الشعرية،168.
(2) انظر شرح ابن عقيل ج2 /377، وانظر النحو المصفّى، 384، 385.

التّضمين في أسماء الاستفهام

لقد ورد التّضمين في أسماء الاستفهام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «**أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ**» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[1].

ورد في الحديث أن أعرابيًا جاء إلى الرسول وهو جالس مع القوم يتحدث إليهم، فسأله الأعرابي عن الساعة، فأتم الرسول عليه الصلاة والسلام حديثه، ثم أجابه أن الساعة لا تقوم حتى يؤتمن الخائن.

و(أُراه) بضم الهمزة أي أظن أنه قال: أين السائل عن الساعة، أي عن زمانها والشك من الراوي.[2] و(أين) سؤال عن المكان وقد بُنِيَ لتضمنه حرف الاستفهام، كما سبق ذكره بأن النحاة علّلوا سبب بناء أسماء الاستفهام هو تضمينها معنى حرف الاستفهام (الهمزة)، وذلك أن حرف الاستفهام في نظرهم هو أصل حروف الاستفهام فإذا أُدِّي الاستفهام باسم فإن ذلك الاسم لا بد أن يكون قد تضمن معنى الحرف، كما قال ابن الأنباري:" وأمّا (أين) و(كيف) فقد بُنيا على الفتح لأنهما تضمنا معنى حرف الاستفهام؛ لأن (أين) سؤال عن المكان و(كيف) سؤال عن الحال، فلما تضمنا معنى حرف الاستفهام وجب أن يبنيا"[3]

---

(1) صحيح البخاري ج1/ 45 وصحيح مسلم ج36/1. وُسِّدَ : أُسند وجُعِلَ في غير أهله؛ يعني إذا سُوِّدَ وشُرِّفَ غير المستحق للسيادة والشرف.

(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج1/ 174، وانظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج 227/1.

(3) ابن الأنبا ري ،أسرار العربية،32.

وبناءً عليه فإن الاستفهام يؤدَّى أصلًا بواسطة الحرف، فإن أُدِّي الاستفهام بحرف فهو مبني على أصله، وإن أُدِّي باسم، فإن هذا الاسم يكون قد تضمن معنى الحرف.

وقد ورد نوع آخر من التضمين في أسماء الاستفهام كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "**سُبْحَانَ اللهِ، ماذا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ الفِتنَ**"[1]. (ماذا) استفهامية متضمنة معنى التعجب والتعظيم.وفي قوله صلى الله عليه وسلم:" **مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ**"[2]. (ما) استفهامية والمعنى الذي خرج إليه الاستفهام أفاد معنى التعظيم.

وبهذا يظهر من خلال العرض السابق، أنَّ التّضمين في أسماء الاستفهام مبحث تابعٌ في أصله إلى السياق الدِّلالي للاستفهام، حيث نأى النحو في جانب وضّحته البلاغة، ووجدنا ذلك جليّاً في المعاني الدّلالية للاستفهام من تعظيم وتعجب.

" ويُعد الاستفهام من الأساليب اللغويّة المتميزة التي تدخل في نطاق الدرس الأسلوبي ، وهو من التراكيب التي تحمل في ذاتها إمكانيّة الاتّصال بين المُرسل والمتلقي ؛ لما ينطوي عليه من مضمون وجداني نفسي ، ولما يتيحه من وسائل تأثيريّة تفعل فعلها عند المتلقي ، فهو يُمارس إثارة الدهشة الناجمة عن قطْع رتابة التّلقي ".[3]

ويرد الاستفهام في الأحاديث بوصفه أحد الأساليب الإنشائيّة ، التي تتيح إمكانيّة واسعة للتعبير عن معانٍ ودلالاتٍ شتّى ، تخرج عن معنى الاستفهام الأصلي إلى معانٍ بلاغيّة ومجازيّة [4]. وهذا ما وقع في هذا النمط التركيبي للاستفهام ، حيث خرج ليفيد معنى بلاغيّا ، وهو التعظيم والتعجب.

---

(1) صحيح البخاري ج1/ 63 وصحيح مسلم ج4/ 2199
(2) صحيح مسلم ج81/4
(3) أسلوبية السؤال،77.
(4) أسلوبية السؤال،76.

تضمين الاسم معنى اسم آخر

وقد يتضمن الاسم معنى اسم آخر كما ورد في عدد من الأحاديث التي تجلّت فيها هذه الظاهرة لتخرج بنتاج تعتمد عليه في تخريج المفهوم.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ**، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ»[1].

قصد عليه الصلاة السلام أنَّ على كل مسلم صدقة مكلف بها بعدد كل مفصل من مفاصل عظامه لله تعالى، شكرًا له؛ لأنه جعل لعظامه مفاصل يتمكن بها من القبض والبسط.

وتظهر اللفتة اللُّغوية في قوله:" كل يوم عليه صدقة" بنصب (كل) على الظرفية، وقوله (عليه) مشكل، فالمعهود في (كل) إذا أضيفت إلى نكرة من خبر وتمييز وغيرها أن تجيء على وفق المضاف كقوله تعالى "**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ**" آل عمران:185. وهنا جاء على وفق (كل) وكان القياس أن يقول (عليها صدقة)؛ لأن السّلامى مؤنثة، وذلك لأنه ضمن السّلامى معنى العظم أو المفصل فأعاد الضمير عليه[2].وممكن القول بعود الضمير على النّاس؛ ليستقيم المعنى الواجب تبادره إلى الذهن، فالنبي عليه الصلاة والسلام سيّد الفصحاء، ولا غرو في اعتقادنا بعودة الضمير على سلامى، فقد طابقت القياس العقلي المتبادر إلى الذّهن ضمنًا من قوله عليه السلام.

---

(1) .صحيح البخاري ج 2/ 919، وصحيح مسلم ج 197/5. والسُّلامى :عظام الأصابع في اليد والقدم، وقيل هي التي بين كل مفصلين من أصابع الإنسان، وقيل كل عظم مجوف من صغار الإنسان.

(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج6/ 151.

وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: " **كَانَتْ هَذِهِ العِدَّةُ تَعْتَدُّ عِنْدَ أَهْلِ زَوْجِهَا وَاجِبًا**، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ"[1].

وفي الحديث أن المرأة المتوفى عنها زوجها يجب أن تقضي مدة العدة عند أهل زوجها ثم نزل قوله تعالى:" **فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ** "البقرة:240 فأصبحت تعتد حيث شاءت.

ونصب (واجبًا) إما لأنه صفة محذوف أي قصد أمرًا واجبًا، أو ضمن العدة معنى الاعتداد.

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "**يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا**"[2].

وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعهد المسلمين بالموعظة والنصح والتذكير، وكان يراعي الأوقات في تذكير المسلمين خشية الملل، وخشية البعد من جانب آخر.

ضمن (السآمة) معنى (المشقة) فعدّاها بـ (على)، والأصل أن تعدى السآمة بـ (من) فيقال سئم من الشيء أي ملّه وضجر منه[3] وعندما ضُمّنت معنى المشقة أضاف ذلك لها دلالة جديدة لما يلاقيه من لم يستمع إلى موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم من المشقة والتعب في حالة الانصراف عن الموعظة وسماعها في الدنيا ابتداء، وفي الآخرة لما يؤول إليه حال التّارك لها.

---

(1) صحيح البخاري ج 1719/4، صحيح مسلم ج 1114/2. العدة: عدة المرأة أيام إحدادها على بعلها وإمساكها عن الزينة وهي أربعة أشهر وعشر ليال أو أيام حملها من وفاة زوجها أو طلاقه إياها.

(2) صحيح البخاري ج1/ 50،وصحيح مسلم ج17/ .135. يتخولنا : يتعهدنا ، السآمة : الملل والضجر.

(3) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف ،156.

التّضمين في الأفعال

تقوم الدراسة في هذا المبحث بدراسة تطبيقية على التضمين في باب الأفعال في الأحاديث النبوية الشريفة، علمًا بأن الصفحات السابقة قد وقفت على مواضع التّضمين في الأسماء ليتم في ذلك تغطية مواضعه في الأقسام كُلِّها.

وكما ورد التضمين في الأسماء على عدة أوجه فإنه كذلك في الأفعال، فقد يكون اللفظ المضمن فعلاً متضمناً معنى فعل آخر كفعل القول المتضمن معنى الظن، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: " **أَرَأَيْتُمْ لو أَنْ نهَراً ببَابِ أحَدِكُمْ،تَغْتَسِلُ فيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْساً، مَا تَقُولُ: ذلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا**"[1]، فقد أجرى فعل القول الوارد في الحديث (ما تقول) مجرى فعل الظن، والشرط الذي ذكره ابن مالك وغيره من النحاة إنما هو لإجراء فعل القول مجرى فعل الظن وشرطه، أن يكون مضارعاً مسنداً إلى المخاطب متصلاً باستفهام[2] ، وفي قوله (أرأيتم) اتَّصل الفعل حقيقة بالاستفهام، وإن وقع الفعل عنده ماضيًا، ولكن دلالته بالنَّظر إلى الاستقبال، فالرؤية متكررة، والفعل المتضمن في الفعل متجدد كذلك.

وقد ذَكر عدد من الباحثين مواضع أُخرى للتضمين في أبواب الأفعال، ومنهم منيرة الحمد في بحثٍ لها وُسِمَ باسم التضمين في النحو العربي، ذكرت فيه أن التضمين في الأفعال يتجاوز التام منها إلى الناقص، وما عُدّ عند النحاة من أَنَّه أفعال مخصّصة لها أحكام وشروط (أفعال التحويل)، فقد وردت في اللغة العربية أفعال تضمنت معنى (صار) النّاقصة التي عملت عملها في رفع الاسم ونصب الخبر ومنها (تمّ) نحو قولهم: تتّم التسعة بهذا عشرة، و(كمل) نحو كمل

(1) صحيح البخاري 179/1.
(2)) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج2 /15 وانظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج2 /181.

زيد عالماً، و (تمثل) نحو قوله تعالى " **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**" مريم: 17.[1] وقد وردت أفعال أخرى بمعنى الفعل صار عن طريق التضمين وهي:(آضَ– رَجَعَ– عَادَ– استحَالَ– قَعَدَ– حَارَ– ارتَدَّ– تَحَوّلَ– غَدَا– رَاحَ)[2] ومن الشواهد على هذه الأفعال قوله صلى الله عليه وسلم:"**ما أُحبُّ أنّهُ يُحوّل لي ذهباً**"[3]، فقد ضمن(حوّل) معنى(صار) في المعنى فقط، دون النَّظر إلى القاعدة النحويّة للفعل، إذ لم ينظر إلى قاعدة الفعل أو أنَّها عَدَّتها من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين، وإنَّما نظر إلى اعتبار المعنى الدلالي للفظة ذاتها من قوله: (يُحَوَّل)، أي بمعنى صار، ومن تَمَعّن الأمر علمه ببساطة.

وقوله صلى الله عليه وسلم:" أُرِيتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا، أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ **فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا**، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ، وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ"[4]، فاسم (استحالت) ضمير يعود على الدلو المذكور في الحديث و(غرباً) خبرها.

وهذه الأفعال ليست موضوعة أصلاً لتكون من النواسخ، وإنما تصير ناسخة إذا ورد استعمالها بمعنى الفعل (صار) أي أنها حين تتضمن معنى هذا الفعل ينسخ معها حكم المبتدأ والخبر فيرفع الأول وينصب الثاني.

وترد الأفعال:(كان، أصبح، أضحى، أمسى، ظل) بمعنى صار أيضاً ومن ذلك قوله تعالى: "**وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا**"النبأ: 19:20 .وقوله تعالى: " **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**"النحل: 58. وقوله تعالى:" **فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ**

(1) انظر منيرة الحمد ، التضمين في النحو العربي ،445
(2) انظر السيوطي ،همع الهوامع ج2 /71 وانظر النحو المصفى ،139-140.
(3) صحيح البخاري712/2.
(4) صحيح مسلم 133/15.والعطن: ما يعد للشرب حول البئر من مبارك الإبل، والعطن للإبل كالوطن للناس(لسان العرب: عطن).

إِخْوَانًا" آل عمران: 103. وإذا تضمنت هذه الأفعال معنى(صار) أخذت حكمها في امتناع مجيء خبرها جملة فعلية فعلها ماض، لأن الجملة تدل على دوام الفعل في حين أن اتصاله بالزمن الماضي في الخبر يفهم الانقطاع فيحصل التناقض، واشترط الكوفيون اقتران الفعل الماضي بحرف (قد) الذي يفيد التحقيق، سواء أوقع ظاهرًا أم مقدرًا ؛ وذلك لتقريب الماضي من الحال[1].

ومما تضمن معنى فعل آخر ما تضمن معنى الفعل (صَيَّرَ) في الدلالة على التحويل، وعدّ السيوطي منها الفعل (بنى)، مثل: بنيتُ الدار مسجدًا، والفعل (قطع)، مثل: قطعتُ الثوب قميصًا، والفعل (صبغ)، مثل: صبغتُ الثوب أبيض.وهذه الأفعال في الأصل تنصب مفعولاً واحداً، ولكنها تضمنت معنى(صَيَّرَ) فعملت عملها في نصب المفعولين.[2] فمن المُلاحَظِ أَنَّ تلكَ الأَفْعَالَ، تَحولت إلى أفعالٍ تنصب المفعولين، لكن ليس ذلك على اعتبار قاعدتها الأصلية، أو أَنَّها تَعَدَّت بما يتعدى به الفعل اللازم، أو حتّى تَعَدَّت بأحرف جر، وإضافَة إلى ذَلِك كُلّه النظر إلى المعنى الدلالي، وبهذا تَخْلص الدراسة إلى أَنَّ هناك مجالًا لتعدي الأفعال دون النظر إلى شاهد القاعدة الأصلية التي ذكرتها سابِقًا. ومن الشواهد على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام عندما سأله أعرابي:" **كيف تقول في الضب ؟ فقال: أمة مسخت من بني إسرائيل، فلا أدري أيَّ الدوابِّ مُسخت**"[3]. (أيَّ الدوابِّ) منصوب على أنه مفعول، وتكون (مسخت) بمعنى صيرت أي: لا أدري أصيرت ضباً أو غيره[4]

(1) السيوطي همع الهوامع ج 2/ 72 وانظر منيرة الحمد التضمين في النحو العربي 446.
(2) انظر السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو ج1/ 103.
(3) المسند 19/5.
(4) إعراب الحديث النبوي 204، 205.

وفي الحديث الشريف:" **قَضَى رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ فِـي دِيَـةِ الْخَطأِ عِشْرِينَ بِنْتَ مَخَاضٍ، وَعِشْرِينَ ابْنَ مَخَاضٍ، ذَكَرًا، وعِشْرِينَ ابْنَةَ لَبُونٍ، وَعِشْرِينَ حِقَّةً، وَعِشْرِينَ جَذَعَةً**"[1].

وفي نصب (عشرين) وجهانِ:

أحدهما: أن يكون أراد الباء فحذفها فتعدى الفعل بنفسه، أي قضى بعشرين.

والثاني: أن يكون حمل (قضى) على جعل وصيّر.[2]

وأرى أَنَّ الوَجْـه الأقـوى مـن الـروايتين السـابقتين، هـو الوجـه الثـاني منهـا؛ لأَنَّ حمـل الفعـل (قضـى) علـى (جَعَل وصيَّر) مستسـاغ من حيث اللغة والمعنـى، ولكن – إن تعدَّى– بالوجه الأول، يكون فعله مُتَعديًا معنى، وأَمَّا إعرابًا فممكن أن يقع على نزع خافضه.

وقد يتضمن الفعل معنى فعل آخر فيتعدى بحرف يتعدى به ذلك الفعل ومن ذلك ما ورد في الحديث الشريف " **وأن يكره أن يعود فـي الكفر كمـا يكره أن يقذف فـي النّـار**"[3]، فقد عدّي (يعود) بـ (في) ولم يعدّه بـ (إلى) كما هو مشهور وذلك لأنه تضمن معنى الاستقرار فكأنه قال: أن يعود مستقراً فيه.

ومن أوجه التضمين إجراء اللازم مجرى المتعدي، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "**اغفـر الأنصـار**"[4] تعدى الفعل اغفر بنفسه، وهو ممـا يتعدى بحرف، وذلك لتضمنه معنى (استر).

---

(1) المسند 450/1،وابن مخاض وبنت مخاض: الفصيل إذا استكمل السنة ودخل في الثانية (لسان العرب:مخض) وبنت اللبون وابن اللبون وهما من الإبل ما أتى عليه سنتان ودخل في الثالثة فصارت أمه لبونًا، أي ذات لبن لأنها تكون قد حملت حملًا آخر ووضعته.وقال أيضا ابن لبون: ولد الناقة إذا كان في العام الثاني وصار لها لبن (اللسان:لبن) والحِقّ والحِقّة من الإبل وهو الذي دخل في السنة الرابعة (اللسان:حقق) والجَذَع والجَذْعَة: البعير الذي استكمل أربعة أعوام ودخل في الخامسة (اللسان:جذع).

(2) إعراب الحديث النبوي 245، 246.

(3) صحيح البخاري ج1 /31 ، صحيح مسلم ج2 /12

(4) صحيح مسلم ج12 /125

ومنها أيضاَ إجراء المتعدي مجرى اللازم، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:" **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ**"[1] عُدّي أطاع باللام، وإن كان يتعدى بنفسه، لتضمنه معنى (انقاد ولان) .

وسيعمد البحث في الصفحات القابلة إلى إيضاح التضمين في كلّ من الفعل اللازم والفعل المتعدي، وجوانب تعدية الفعل اللازم، ومواضع التعدية من الدّلالات التركيبيّة السّياقيّة في الألفاظ (الحقيقية والمجاز)، ومن حيث النَّظر إلى المستوى اللُّغوي من حيث عدد المفاعيل، وإن كان محتاجًا إلى الكناية أو لا يعوزها.

وأمَّا تحويل الفعل المتعدي إلى لازم، فقد سلف الحديث عنه، وسيعالج هنا بفكرة أُخرى، وهي فكرة البناء للمفعول، على اعتبار تحوُّل البنية الصّرفيّة في الفعل، وبهذا تكون قد عالجت مستويات الدّلالة التركيبية من جانب، ومستويات اللغة من جانب، ومستويات الحقل الصَّرفي من جانب آخر؛ ليتكامل باب الدّراسة في حقل الجملة الفعليّة.

(1) صحيح البخاري ج3 /1312.

التّعدية واللزوم في الأفعال

يتصل مبحث التّعدي واللّزوم في العربية بوظيفة الفعل في التركيب، وللفعل ثلاثة أنواع :

نوع لا يوصف بتعدٍّ ولا بلزوم، وهي الأفعال الناقصة. ونوع يتصف باللزوم وفي معناه يقول الميداني:" اللّلازم ما يلزمك ولا يتعدّاك، مثل قام وقعد ولا تلحقه الكناية"[1] ونوع يتصف بالتعدي في معناه، أمَّا النوع الأول من الأفعال فقد تحدثت عن جزء منه عند القول في باب التحويل في بنية الفعل صار. وهي الأفعال الناقصة.

وأمَّا النوع الثاني وهو ما يتصف باللزوم فله أقسام عِدَّة:[2]

الأول: أن يدل على سجيّة وهي الأمر المطبوع عليه أو ما جرى مجراه في الطبع، مثل كَرُم محمد.

الثاني: أن يكون موازيًا لـ (افْعَالَّ) نحو (اسْمَارَّ) ومثله (افْوَعَلَّ) كـ (اكْوَهَدَّ الفرخ) إذ ارتعد.

الثالث: أن يكون موازيًا لـ (افْعَنْلَلَ) بالأصالة أو بالإلحاق، ومثل (افْعَنْلَلَ) (افْعَنْلَى) كـ (اسْلَنْقى) إذا وقع على القفا.

الرابع: أن يدل على نظافة أو ضدها كـ (طهُر وقذُر).

الخامس: أن يكون الفعل عَرَضًا، وهو ما ليس حركة جسم من وصف غير ثابت كـ (فرح، ومرض، ونهم)

السادس: أن يكون مطاوعًا لفعل متعد واحد كـ (انثلم، وانقطع)؛ إذ هما مطاوعان لـ (ثلم، وقطع) المتعديين لواحد.

---

(1) نزهة الطرف في علم الصرف78. الكناية: شبه الجملة.
(2) انظر الأشباه والنظائر 170/2،وانظر شرح الأجرومية في علم العربية 502/2.

السابع: أن لا يتصل بالفعل(هاء) ضمير لغير مصدر، مثل (قعد) ألا ترى أنه لا يقال: (زيد قعده عمرو) فإذا اتصل به (هاء) ضمير المصدر يقال: (القعود قعده عمرو).

الثامن: أن لا يبنى منه اسم مفعول تام إذ لا يقال (زيد مقعود) نعم قد يتعدى بحرف الجر، فيقال: (مقعود إليه).

وأمَّا النوع الثالث فهو ما يَتَّصِفُ بالتّعدي، وفي معناه يقول ابن يعيش:"المتّعدي ما يفتقر وجوده إلى محلّ غير الفاعل، والتّعدي التجاوز، يقال: عدا طوره: أي تجاوز حدّه، أي أنّ الفعل تجاوز الفاعل إلى محلّ غيره، وذلك هو المفعول به، وهو الّذي يحسن أن يقع جوابًا : بمن فعلت".[1]

فقد خلص إلى أنَّ التّعدية إنّما هي المُجاوَزةُ. فالمتعدي تجاوز الفعل الّلازم، والّلازم ما التزم الفاعل وحده، وأمَّا المتعدِّي فتجاوز أثره الفاعل إلى المفعول به.

ويظهر أن الفعل المتعدي في العربية على نوعين، متعد بواسطة، ومتعد بغير واسطة، أو بالنفس، ومعنى هذا أن الفعل المتعدي إمّا أن يكون بقصد نقل الحركة كليّة إلى آخر، وهذا ما يسمى بالتّعدية بالنّفس، فقولنا: نصره، يعني: أن حركة الانتصار انتقلت من حيّز الفاعل الشخصي إلى آخر على وجه القصد، وإمّا أن يكون بقصد نقل الحركة بوسيلة ملوّنة بلونها الخاص وتعبيرًا عن هذه الوسيلة ذات اللون، نستخدم حروف المعاني، وهذا ما يسمى بالتَّعدية بالأداة، فإن كان انتقال الحركة داخل ظرف تعدى بحرف (في) أو بشكل تجاوزٍ وتخطٍّ تعدى بحرف (عن)، ومن هنا فالمتعدي بنفسه لا يحتاج إلى تعدية معنويّة، ولا يحتاج إلى تعدية بحرف الجر، وأمّا الّذي يتعدّى بالوسيلة، فيظهر ذلك على عدّة مواضع منها (التعدية بحروف المعاني).

(1) شرح المفصل7/ 62.

ويرى مصطفى جواد أن التّعدي في الأفعال نوعان: حقيقي ولفظي، والتّعدي الحقيقي هو صدور الفعل من الفاعل ووقوعه على غيره، أي أن الفاعل يصدر فعله من نفسه فيوقعه على غيره الّذي هو المفعول به، فإذا قيل (أكل الطعام) فقد صدر الأكل بتحريك الفم ووقع على الطعام، فالطعام مفعول به بتعدّ حقيقي، وأمّا غيرها مثل (سفه نفسه، وغبن رأيه، وبطّر عيشه) في الأفعال التي تطورت من اللّزوم إلى التّعدي، فهي متعدية تعدّيًا لفظيًا، وذلك بدلالة جواز قولك: (سفهت نفسُه، وغبن رأيُه)، برفع هذه الأسماء على الفاعلية. ويرى أنه من المحال أن يكون المفعول به الحقيقي فاعلًا ومفعولًا في جملة واحدة.[1]

ويقسم الفعل المتعدّي من جهة المفاعيل التي يتعدّى إليها إلى ثلاثة أقسام منها المتعدّي إلى واحد، والمتعدّي إلى اثنين، فإذا تعدى الفعل لأكثر من واحد، فالأصل أن يقدم ما هو فاعل في المعنى؛ أو مبتدأ في الأصل، فالأول مثل (أعطيت زيدًا جُبَّةً) والثاني مثل(ظننت زيدًا منطلقًا)، وذلك سبعة أفعال، ثلاثة للشك وهي:(ظننت، وحسبت، وخلت)، وثلاثة للعلم هي(علمت، ورأيت، وجدت) إذا كانت بمعنى (علمت)، وواحد محتمل للشك والعلم وهو(زعمت)، والمتعدّي إلى ثلاثة مفاعيل أربعة هي (أعلمت، وأنبأت، ونبّأت، وأريت)، وثلاثة ملحقة بها؛ لأنها في معناها وهي (خبّرت، وأخبرت، وحدّثت).[2]

ويتحول الفعل اللّازم إلى متعدّ، والفعل المتعدي إلى لازم،وذلك بعدة طرق قد سبق ذكر طرق تحويل الفعل المتعدّي إلى لازم في الفصل الثاني(ص 41– 42)، أمّا طرق تحويل الفعل اللازم إلى فِعْلٍ متعدٍّ فهي:

- الهمزة،مثل : ذهب زيد وأذهبته.

(1) انظر دراسات في فلسفة النحو 49، 50، 51.
(2) انظر نزهة الطرف في علم الصرف77/ 78.

- التضعيف،مثل : فرح وفرّحته.
- التعدية بحرف الجر،مثل : ذهبت بعلي.
- ألف المفاعلة،مثل : جالست زيدًا. ويقع الوزن فيها على فَاْعل، بشرط ألّا يدلّ الوزن على المشاركة بين طرفين. وإنما يقع للتعدية؛ وذلك يفهم من سياق الدّلالة المعجميّة ونظم علاقتها بسائر التراكيب والألفاظ الموجودة في الجملة.
- ما وقع على وزن استفعل بالزّيادة،مثل : أخرج واستخرج.
- نزع الخافض: وهو أن يسقط الجار ويصل الفعل بنفسه إلى مفعوله، وفي الإعراب نقول: اسم منصوب على نزع الخافض.
- التضمين، وما يهمنا في هذا البحث أن نتناول تعدية اللازم من حيث التضمين.

نماذج تطبيقية من الحديث النبوي الشريف على التضمين في الأفعال

وفي الحديث الشريف يخبرنا أبو سفيان بن حرب أن هرقل أرسل إليه، وهو بصحبة مجموعة من قريش، وأخذ يسأله عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ونسبه وخُلقه، ومن اتبعه من الناس، فأجابه عن كل ما سأل عنه وصدقه القول، فقال له هرقل:" إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَمْ أَكُ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ **لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ**، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ، قَالَ: **ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ** رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَهُ"[1].

هذا القول قاله هرقل في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعنى أن هرقل اعترف بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم في نفسه وما يعتوره العقل، ولكنه لم يستطع الاعتراف بذلك جَهْراً وإعلانًا خوفًا على ملكه وحياته من الروم. أما قوله: (**لغسلت عن قدميه**)، ضمن (غسلت) معنى الإزالة[2] لذلك عُدّي بـ (عن) وهو يتعدى بنفسه كما ورد في قوله تعالى:"**جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ** "النساء:43 فقد تعدى (الغسل) بنفسه في الآية والأصل في الحديث أن يقال: (لغسلت قدميه) ولكنه عداه بـ (عن) وتأويله غسل قدميه مزيلاً عنها ما علق بها، وقد دل ذلك على مبالغة هرقل في العبودية والخدمة له صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لقناعته بصدق رسالته.

وقد يتعدى بـ (الباء) فيفيد دلالة جديدة، فيقال : غَسَل بالسّوط أي (ضرب فأوجع)، واغتسل بالطّيب: تضمَّخ، وتلطخ بعار لن يُغسل عنه أبدًا[3].

---

(1) صحيح البخاري ج1/ 25 وصحيح مسلم ج12/ 90.

(2) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج1/ 41.

(3) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،258.

وفي قوله:" **دعا بكتاب رسول الله** " ضمن (دعا) معنى (طلب) [1] لذلك عدّاه بالباء، وهو يتعدى بنفسه والشاهد في ذلك قوله تعالى:"**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ** "آل عمران : 38. ويتعدى بـ (إلى) والشاهد في ذلك قوله تعالى:" **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**" فصلت: 33. وتتوالى دلالات الفعل (دعا) مع كل حرف يتعدى به فيقال: دعا إلى الشيء : رغب فيه، ودعا إلى الصلاة : أَذَّنَ، ودعا دعاءً له : طلب له الخير، ودعا عليه : طلب له الشر، ودعا بفلان : ناداه وصاح به ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى الوليمة، وتداعوا في الحرب : اعْتَزَوْا أي انتسبوا إلى آبائهم وأجدادهم[2]، فبهذا يكشف لنا التضمين أسرار الفعل دعا ودلالاته المختلفة.

وها هو الرسول الكريم يحدثنا عن حلاوة الإيمان فـ "عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، **وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ**، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ[3] ".

وفي الحديث يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ثلاث خصال من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، وهي أن يكون حب الله ورسوله أفضل عنده ممّا سواهما، وأن يحب المرء لله ، وأن يكره الاستقرار في الكفر كما يكره أن يقذف بالنار.

---

(1) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج1/ 112.
(2) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف100
(3) صحيح البخاري ج1/ 31 وصحيح مسلم ج2/ 12.

وفي قوله: (يعود في الكفر) ضمن (يعود) معنى الاستقرار[1]. فعدّاه بـ (في) والأصل أن يعدّى بـ (إلى) ونحوه قوله تعالى:" **وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ**" الأعراف:89 ، وتأويله أن يعود مستقرًا فيه. وعندما ضمن (يعود) معنى الاستقرار دل ذلك على أن من كان في الكفر وتاب فإن الله يغفر الذنوب ولكن من يستقر بالكفر فلا مغفرة له.

وقد يتعدى الفعل (عاد) بأكثر من حرف ومع كل حرف دلالة جديدة فيقال : عاد إليه، وعاد عليه، وعاد له، وعاد فيه: رجع، وعاوده عن كذا: صرفه، وعاد بمعروفه: أَفْضَلَ، وأعاده إلى مكانه: رجَّعَهُ، وَعَاوَدَ ما كان عليه: واظب عليه، وَعَاوَدَهُ بالمسألة: كرَّر السّؤَال، وتعاود القوم في الحرب وغيرها: عاد كُلٌّ فريق إلى صاحبه[2].

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم إسناد الإمارة لمن لا يستحقها علامة من علامات يوم القيامة فقال:" **إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ** "[3].

وقد سبق شرح الحديث في التضمين في أسماء الاستفهام ص 67.

وسد : مأخوذة من الوسادة إذ كان للأمير وسادة تُثنى تحته إذا جلس.[4] وفي قوله (وسّد) أي جعل له غير أهله وسادًا وتكون (إلى) بمعنى (اللام)، وأتى بها ليدل على تضمين معنى أسند.[5]

لما في ذلك من المغالاة في الثراء والتمتع بأموال الخلافة للمصالح الشخصية فكأنه ربط بين هذه الحياة التي يكون هدف الأمير منها التمتع بملذات الحياة، والابتعاد عن متابعة أمور الرعية

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج1/ 77.
(2) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،251.
(3) صحيح البخاري ج 1/ 45.
(4) لسان العرب، وسد.
(5) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج1/ 174.

دليلاً على إسناد الأمر لمن لا يستحقه، ولا يقوم عليه بما يرضي الله، فنرى كيف يكشف التضمين عن دلالات الكلمة.

وعَنْ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: "اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» فَقَالَ: «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا**، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ".[1]

وفي الحديث يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بعدم الرجوع بعده كفّارًا؛ أي لا تتشبهوا بالكفار في قتل بعضكم بعضًا.

وفي الحديث شاهد على تضمين (رجع) معنى (صار) إذ نصب خبر(لا ترجعوا) المفسر بلا تصيروا (كفّارًا)[2]، و (رجع) في الأصل فعل لازم ومتعد فنقول: رَجَعَ زيد وَرجَعْته أنا[3] ومن ذلك قوله تعالى:" **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**" المؤمنون: 115 وقوله تعالى:"**فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ**"التوبة:83. فالتضمين جعل الفعل الصحيح (رجع) الذي يحتاج إلى فاعل ومفعول به إلى فعل ناقص بمعنى (صار) يعمل عمله، يرفع الأول وينصب الثاني.

ولو نظرنا إلى الفعل (رجع) نرى أنه يتعدى بأكثر من حرف فيقال: رجع إليه: عاد، ورجع في صوته: ردّده في حلقه، وترجّع في المصيبة قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون) وارتجعت المرأة جلبابها : ردّته على وجهها وتجلّلت به، واسترجع منه الشيء: طلب منه رجوعه، والرجيع من القول: هو المعاد[4].

---

(1) صحيح البخاري ج1/ 35 وصحيح مسلم ج1/ 81، استنصت : من الإنصات وهو السكوت والاستماع للحديث.
(2) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج1/ 318.
(3) لسان العرب، رجع.
(4) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف، 121.

ومنه عَنْ أَبِي حَازِمٍ، سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَسَأَلَهُ النَّاسُ، وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ: بِأَيِّ شَيْءٍ دُووِيَ جُرْحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، "كَانَ عَلِيٌّ يَجِيءُ بِتُرْسِهِ فِيهِ مَاءٌ، **وَفَاطِمَةُ تَغْسِلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ**، فَأُخِذَ حَصِيرٌ فَأُحْرِقَ، فَحُشِيَ بِهِ جُرْحُهُ"[1].

وفي الحديث لمَّا جرح الرسول عليه الصلاة والسلام في غزوة أُحد أخذت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم عن وجه أبيها لتزيله، ثم أخذت حصيرًا، وأحرقته ووضعته على الجرح، حتى توقف النزف.

وقوله:(تغسل عن وجهه الدم) فقد عدي الغسل بـ (عن) لتضمنه معنى الإزالة[2]، وتؤول أنها كانت تغسل وجهه لإزالة الدم عنه، ومن ذلك قوله تعالى:" **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** "الشورى:25 فقد ضمن (يقبل) معنى (يغفر) فهو يقبل التوبة غافرًا عن عباده الذنوب ، وفاطمة رضي الله عنها كانت تصب الماء على وجه أبيها لإزالة الدم عن وجهه الكريم، ثم أحرقت حصيرًا، ووضعته على الجرح، فالهدف من الغسل هنا إزالة الدم حتى يتبين موضع الجرح لمعالجته بالكي كما فعلت فاطمة رضي الله عنها.وهي في الأصل تتعدى بـ (من) ومن ذلك ما ورد بالحديث " **وَضَعْتُ لَهُ غُسْلَهُ مِنَ الْجَنَابَةِ**"[3].

وقد أورد البخاري هذا الحديث في الجزء4 ص1829تحت باب " **حرق الحصير ليسد به الدم**" وفي عنوان الباب ضمن (سدّ) معنى(قطع) وتأويله حرق الحصير ليسد جرحه قاطعًا به الدم.

---

(1) صحيح البخاري ج98/1، وصحيح مسلم ج12/ 125.
(2) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج1/ 478.
(3) مستخرج أبي عوانه ج1/ 250.

ومنـه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ مَيْمُونَـةَ قَالَـتْ: "وَضَـعَ رَسُولُ اللَّـهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ وَضُـوءًا لِجَنَابَـةٍ، فَأَكْفَأَ بِيَمِينِـهِ عَلَـى شِمَالِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، ثُمَّ غَسَلَ فَرْجَـهُ، **ثُـمَّ ضَـرَبَ يَـدَهُ بِـالأَرْضِ** أَوِ الحَـائِطِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، وَغَسَلَ وَجْهَـهُ وَذِرَاعَيْـهِ، ثُمَّ أَفَـاضَ عَلَـى رَأْسِـهِ المَـاءَ، ثُمَّ غَسَلَ جَسَدَهُ، ثُمَّ تَنَحَّـى فَغَسَلَ رِجْلَيْـهِ» قَالَـتْ: «فَأَتَيْتُـهُ بِخِرْقَـةٍ فَلَـمْ يُرِدْهَا، فَجَعَلَ يَنْفُضُ بِيَدِهِ".[1]

وفي الحديث يذكر لنا الرسول صلى الله عليه وسلم غُسْل الجنابة حيث يقلب يديه بالماء مرتين أو ثلاث، ثم يغسل فرجه، ثم يعفر يده بالتراب مرتين أو ثلاث، ثم يمضمض ويستنشق ويغسل جسده، ثم يغسل رجليه.

وفي قوله (ضرب يده بالأرض) ضمن (ضرب) معنى (عفر)[2] فكأنه قال: ضرب يده معفرًا لها بالأرض. فأفاد التضمين معنى الضرب والتعفير معًا، فالرسول صلى الله عليه وسلم ضرب يده بالأرض معفرًا لها بالتراب لتطهيرها مما علق بها.

ومنـه،" عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ جَدَّتَـهُ مُلَيْكَـةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّـهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «**قُومُـوا فَلِأُصَلِّ لَكُـمْ**» قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَـى حَصِيرٍ لَنَـا، قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ، فَنَضَـحْتُهُ بِمَـاءٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّـهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وَصَـفَفْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ، وَالعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا، **فَصَلَّى لَنَا** رَسُولُ اللَّـهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ"[3].

---

(1) صحيح البخاري ج107/1، فأكفأ : أي قلب (لسان العرب:كفأ).
(2) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج107/1.
(3) صحيح البخاري ج 1/ 141 ومسلم ج5/ 138. نضحته : أي رششته بالماء(لسان العرب:نضح).

وفي الحديث أن مليكة جدة أنس بن مالك دعت الرسول عليه الصلاة والسلام إلى طعام، فأكل منه ثم قال: قوموا فلأصل لكم.

وفي قوله (فلأصل لكم) ضمن (الصلاة) معنى (الدعاء) فكأنه قال: قوموا فلأصل وأدعو لأجلكم، فالصلاة لا تكون لهم بل لأجلهم، وصلّى له أي استغفر له.

وقد ورد هذا النوع من التضمين على الصورة السابقة في أكثر من موضع في الصحيحين فمن تلك المواضع:

- "**صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ رَقِيَ المِنْبَرَ**"[1]
- "**وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي** "[2]
- " **ثُمَّ مَا صَلَّى لَنَا بَعْدَهَا**"[3]
- وقد وردت (الصلاة) في القرآن الكريم متعدية بـ (على) و (في) كما في قوله تعالى:" **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ**" الأحزاب:43. لمناسبة العُلو المكاني، ولتحقيق معنى الاستعلاء الحقيقي في حرف الجر (على). وقوله تعالى:"**فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ**" آل عمران:39. وذلك لبيان الظرفية المكانية.

وفي تحريم النار على من قال:لا إله إلَّا الله مبتغيًا فيها وجه الله يخبرنا محمود بن الربيع الأنصاري فيقول: "...فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ، قَالَ: فَآبَ فِي البَيْتِ، رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ،

(1) صحيح البخاري ج1/ 149 وصحيح مسلم ج 4/ 2217.
(2) صحيح البخاري ج 3/ 151 وصحيح مسلم ج 5/ 135.
(3) صحيح البخاري ج3/ 1338 وصحيح مسلم ج148/5.

فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ أَوِ ابْنُ الدُّخْشُنِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ تَقُلْ ذَلِكَ، أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ " قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ**، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ" [1].

وفي الحديث أن عتبان بن مالك أتى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأستأذنه أن يصلي له في بيته ليتخذه مسجدًا؛ لأن بينه وبين المسجد واديًا يحول بينه وبين المسجد إذا نزلت الأمطار، فصلى له الرسول في بيته، ثم دعاه إلى طعام قد أعده له ، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن ، فقال بعضهم: إنه منافق لا يحب الله ورسوله، فقال لهم الرسول: لا تقولوا ذلك ألم يقل: لا إله إلا الله، فإنا نرى توجهه ونصيحته إلى المنافقين.

يقال نصحت (له) لا (إليه) فقد ضمن (نصح) معنى (الانتهاء)[2] وهي في الأصل تتعدى باللام ومن ذلك قوله تعالى: "**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ**"الأعراف:93. وقوله تعالى:" **وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ**"التوبة: 91. فيقال نصحت له نصحًا ونصيحةً، وتنصحت له، وناصح نفسه في التوبة إذا أخلصها، واستنصحته وانتصحته[3] قال النابغة الذبياني:

(1) صحيح البخاري ج1/ 151 وصحيح مسلم ج5/ 136.
(2) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج1/ 618.
(3) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،384.

فَلاَ عُمَرُ الّذِي أَثْنِي عَلَيـهِ وَمـا رَفَعَ الحَجِيجُ إِلى إِلآلِي

لَما أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ، فَانْتَصِحْنِي وَكَيْفَ، وَمِنْ عَطَائكَ جُلُّ مَالِي[1]

ومنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا أَوْ أَسْوَاقِنَا بِنَبْلٍ، **فَلْيَأْخُذْ عَلَى نِصَالِهَا**، لاَ يَعْقِرْ بِكَفِّهِ مُسْلِمًا"[2].

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن من مرّ في المساجد، أو في الأسواق بنبل فليمسك على نصالها بكفه أن يصيب أحدًا من المسلمين.

وفي قوله: (فليأخذ على نصالها) والأصل أن يقول: (فليأخذ بنصالها) ومن ذلك قوله تعالى: "**فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**" الأنعام:42، وقوله تعالى:" **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**" المؤمنون: 76. وذلك لأنه ضمن (الأخذ) معنى (الاستعلاء) للمبالغة فعديت بـ (على).[3] فالأخذ لا يحصل إلا عن عزيمة واجتهاد وبذل طاقة، وقد أفادت المبالغة شدة الحرص بالأخذ على النصال فجمع التضمين المعنيين معًا لما في ذلك من الحرص الشديد في إبعاد الأذى عن المسلمين.

---

(1) ديوان النابغة الذبياني ج1/ 81.

(2) صحيح البخاري ج1/ 159 وصحيح مسلم ج2019/4. النَّبْل: السهام العربية . النّصال: حديدة السهم والرمح. يعقر: يجرح.(لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط: نبل، نصل، عقر)

(3) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج1/ 649.

وقد يتعدى الفعل (أخذ) بـ (الباء) فيقال: أخذ به: تناوله، وأخذه بذنبه: عاقبه بالاستئصال، و بـ (في) فيقال: أخذ في كذا: بدأ، ويتعدى بنفسه و بـ (عن) فيقال: وأخذت السّاحرة زوجها، وأخذت عنه: حبسته بالرّقي عن غيرها من النساء[1].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: **أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا**، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ وَيَكُونُ الوَلاَءُ لِي، وَقَالَ أَهْلُهَا: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتِهَا مَا بَقِيَ – وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: إِنْ شِئْتِ أَعْتَقْتِهَا، وَيَكُونُ الوَلاَءُ لَنَا – فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَّرَتْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّ الوَلاَءَ لِمَنْ أَعْتَقَ"[2].

وفي الحديث أن بريرة أتت عائشة تستعين بها في كتابها، فقالت عائشة: إن شئت أعطيت مواليك ويكون ولاؤك لي، فقال مواليها: إن شئت أعطيتها ما بقي، فقال الرسول: ابتاعيها واعتقيها، فإن الولاء لمن أعتق، ثم نبه الرسول إلى أن من اشترط ما ليس في كتاب الله ، فليس له ولو اشترط مائة مرة.

وفي قوله (**تسألها في كتابها**) عدّي الفعل (تسأل) بـ (في) وهي في الأصل تتعدى بـ (عن) ومن ذلك قوله تعالى: "**قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي**" الكهف: 76 وقوله تعالى: "**لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا**"الأحزاب: 8، وذلك لأنه ضمن

(1) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف، 8.
(2) صحيح البخاري ج159/1 وصحيح مسلم ج10/ 118. الولاء : النصرة، والموالي جمع مولى وهو المعتق. العتق: خلاف الرّق وهو الحرية ،(لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط: ولي، عتق).

(تسأل) معنى (تستعين)[1] فما كان مجيء بريرة إلى عائشة إلا لسؤالها أن تعينها في كتابها فجمع التضمين بين السؤال والاستعانة في كلمة واحدة وكشف عن سر من أسرار العربية.

قال الراغب: السؤال إذا كان للتعريف تعدَّى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بـ (عن) وهو أكثر والشاهد قوله تعالى: " **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**"الإسراء: 85. وإذا كان لاستدعاء مالٍ فإنه يتعدى بنفسه وبـ (من) وبنفسه أكثر نحو" **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**"الأحزاب:53. واسألوا ما أنفقتم، واسألوا الله من فضله، وسأله من معروفه: استعطاه[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَنَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " **إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلاَةِ**، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ "[3] .

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر المؤمنين عند اشتداد الحر تأخير الصلاة حتى تذهب شدة الحر.

وفي قوله : (أبردوا عن الصلاة) ضمن(أبردوا) معنى (أخّروا)[4] فعدّي بـ (عن) أي إذا اشتد الحر فتأخروا عن الصلاة مبردين، أو أبردوا متأخرين عنها. وهي في الأصل لا تتعدى بـ (عن) ومن ذلك قوله تعالى:"**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**" الأنبياء: 96 وتتوالى دلالات الفعل (برد) مع كل حرف يتعدى به فيقال: برد علينا الليل: أصابنا بردُهُ،

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج1/ 652.
(2) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف155.
(3) صحيح البخاري ج1/ 180 وصحيح مسلم ج5/ 99. أبردوا : فالإبراد انكسار الوهج والحرّ والدخول في البرد.(لسان العرب، برد).
(4) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج2/ 19.

وأبرد إليه البريد: أرسله، واستبرد عليه لسانه: أرسله كالمِبرد، وبرَّد عنه: خفف، وأبرد له: سقاه باردًا ، وتبرَّد بالماء: استنقع فيه :اغتسل بالماء البارد[1].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، **وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ**، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ "[2].

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر المؤمنين بعد سماع الأذان أن يدعوا له بالوسيلة والفضيلة ، والمقام المحمود، فإن من دعا بذلك حلّت له شفاعته يوم القيامة.

وفي قوله: (ابعثه مقامًا) ضمن (ابعثه) معنى (أقمه) أو على أنه مفعول به على تضمين ابعثه معنى أعطه[3].فقد جوز ابن حجر نصب (مقامًا) على أنه مفعول به لـ (يبعثك) على تضمنه معنى (يعطيك) ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:" **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**"الاسراء79. ولعل في تضمينه معنى (منح) أقرب في الدلالة، فالتهجد منحة ربانية يهبها الله سبحانه وتعالى لعباده ليمنحهم بها المقام المحمود.

ويتعدى الفعل(بعث) بنفسه فيقال: يبعثه بعثًا: أرسله وحده، ويتعدى بـ (الباء) فكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب، والهدية، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال : بعث به: أرسله مع غيره، ويتعدى بـ (على) فيقال: بعثه بعثًا على الشيء: حمله على فعله، وتباعثوا على الخير: تواصوا به وحمل بعضهم بعضًا على صنيعه، وبـ (من) بعثه من نومه: أيقظه،

(1) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،15 .
(2) صحيح البخاري ج1/ 199. الوسيلة : هي المنزلة العلية في الجنة، المقام : الموضع الذي يقوم فيه، الشفاعة : الدعاء، وهي كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره. (لسان العرب: وسل ، قوم ، شفع).
(3) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج2/ 114.

وبـ (على) بعث الله على الخلق البلاء: أَحَلَّهُ، وبـ (في) انبعث في السَّير وغيره: اندفع وأسرع، وبـ (اللام) انبعث فلان لشأنه : ثار ومضى ذاهباً لقضاء حاجته[1].

ومنه، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **قَرَأَ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ**"[2].

وفي الحديث أن الرسول قرأ من سورة الطور في صلاة المغرب وذلك ردًا على من قال بكراهة قراءة السور الطوال في صلاة المغرب.

وفي قوله (بالطور) تعدى بـ (الباء) والأصل أن يقول (من الطور) كما ورد في قوله تعالى:" **فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**"المزمل:20 وذلك لأنه ضمن (قرأ) معنى التمعن، وتأويله قرأ متمعنًا بالطور.

ويتعدى (قرأ) بـ (على) فيقال: اقرَأ سلامي على فلان، وبـ (من) فيقال: قرأ من سفره : رجع إلى وطنه، وقرأ من أهله : دنا: استأخر (ضدٌّ)[3]. فمع كل حرف دلالة جديدة.

وعَنْ وَرَّادٍ، كَاتِبِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: أَمْلَى عَلَيَّ المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: " لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، **وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ** "[4].

---

(1) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،18.

(2) صحيح البخاري ج1/ 292 وصحيح مسلم ج4/ 151.

(3) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،290.

(4) صحيح البخاري ج256/1 وصحيح مسلم ج4/ 163.الجدِّ: الغنى والحظ،(لسان العرب: جدد)

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في نهاية كل صلاة بأن الله واحد لاشريك له، وأنه على كل شيء قدير، وأنه لا ينفع ذا الغنى غناه بل ينفعه العمل الصالح.

و(منك) في الحديث متعلق بـ (ينفع) على تضمين (ينفع) معنى(يمنع)،[1] وهو في الأصل لا يتعدى بـ (من) ويتعدى بنفسه ومن ذلك قوله تعالى:" **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى**" الأعلى:9. وقوله تعالى: " **وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ**" البقرة: 164.

ويتعدى بـ (الباء) فيقال: نفعك الله بعلمك ، وما نفعني فلان بنافعة، وانتفعت به واستنفعت[2]، فالغنى لا ينفع صاحبه ولا يمنعه من العذاب، ففي وقت الحساب لا ينفع المرء ولا يمنعه إلا عمله الصالح. فجمع التضمين في أسلوب رائع بين المعنيين.

وفي التفريق بين الكفر بالله، وكفر العشير واختلاف دلالة الفعل (كفر) قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللَّهَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: **يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ:** " **يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ،** لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ "[3].

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج2/ 389.
(2) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،394.
(3) صحيح البخاري ج1/ 315 وصحيح مسلم ج2،/57. كعكعت : أي أحجمت وتأخرت إلى الوراء.(لسان العرب: كعع).

وفي الحديث يخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن الشمس والقمر من آيات الله ، وهما لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ثم سألوا الرسول عليه الصلاة والسلام عما تناوله في مقامه، فقال: إني رأيت الجنة، فتناولت عنقودًا لو أصبته لأكلتم منه طيلة حياتكم، ورأيت النار وأكثرها من النساء، وذلك لكفرهن العشير وإحسانه.

لم يعدّ كفر العشير وكفر الإحسان بـ (الباء) لأنه لم يتضمن معنى الاعتراف، فالمقصود كفر إحسانه لا كفر ذاته،[1] وعندما تضمن الكفر معنى الاعتراف عُدي بـ (الباء) في يكفرن بالله، فهو لم يعمل بأوامره ونواهيه، ومن ذلك قوله تعالى:"**مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ**"النحل: 10 وقوله تعالى:" **وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**" الملك:6. وكفر في الأصل يتعدى بـ (الباء) كما ورد في الآيات السابقة فلما تضمن معنى (الجحود) تعدى بنفسه كما في(يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان) ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:" **أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**"هود:60 وأصل (جحد) أن يتعدى بنفسه وعندما أُجري مجرى (كفر) تعدى بـ (الباء) في قوله تعالى:" **وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**" هود:59 ، فضمن (جحد) معنى (كفر) فتعدى بالباء وضمن (كفر) معنى (جحد) فتعدى بنفسه، فالتضمين يجعل المتعدي لازمًا واللازم متعديًا.

ويتعدى كفر بـ (على) وكفر عليه : غطاه وستره، وبـ (اللام) وكفّر له: طأطأ رأسه قريبًا من الركوع يُعَظِّمُهُ، وبـ (عن) وكفّر عن يمينه : أعطى الكفّارة، وكفر الله عنك خطاياك، وبـ (في) وكفّر في صلاته: انحنى كثيرًا في حالة القيام قبل الركوع[2].

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج2/ 628.
(2) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،314.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ **مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ** لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ – يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ – ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ: (لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) "[1].

وفي الحديث يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن من رزقه الله مالًا ولم يؤدِّ زكاته صُوّر له يوم القيامة ماله حية كبيرة لا شعر لها ، ويمسكه من شدقيه، ويقول له: أنا مالك، أنا كنزك.

وفي قوله(مُثِّل له) ضمن (مُثِّل) معنى التصير[2] أي صيّر ماله على صورة شجاع، ومن ذلك قوله تعالى:"**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**"مريم:17.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ** ،فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ**، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ**، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"[3].

(1) صحيح البخاري ج1/ 417 وصحيح مسلم ج7/ 62. شجاعًا : الحية الذكر، أقرع : الذي لا شعر على رأسه؛ لكثرة سمه وطول عمره.(لسان العرب : شجع، قرع).

(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج3/ 311.

(3) صحيح البخاري ج1/ 447 وصحيح مسلم ج175/1. كرائم أموالهم : أي نفائسها التي تتعلَّق بها نفس مالكها. (لسان العرب: كرم).

وفي الحديث أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن بأنه سيأتي قومًا أهل كتاب، فادعهم إلى الشهادة بالله وأن محمدًا رسول الله، فإن أطاعوا فادعهم إلى الصلاة، فإن أطاعوا ، فادعهم إلى الزكاة، فإن أطاعوا، فلا تظلمهم في أموالهم.

وفي قوله (أطاعوا لك) عدّي (أطاع) بـ (اللام) وإن كان يتعدى بنفسه "ومن ذلك قوله تعالى:"**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ**" النساء:81 لتضمنه معنى انقاد ولان[1]، فالمراد من الطاعة هنا الانقياد والتنفيذ والعمل بما أُمروا به.

وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ قَالَ: انْطَلَقْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، فَأَحْرَمَ أَصْحَابُهُ وَلَمْ أُحْرِمْ، فَأُنْبِئْنَا بِعَدُوٍّ بِغَيْقَةَ، فَتَوَجَّهْنَا نَحْوَهُمْ، **فَبَصُرَ أَصْحَابِي بِحِمَارِ وَحْشٍ**، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَضْحَكُ إِلَى بَعْضٍ، فَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُهُ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ الفَرَسَ فَطَعَنْتُهُ فَأَثْبَتُّهُ، فَاسْتَعَنْتُهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُعِينُونِي، فَأَكَلْنَا مِنْهُ، ثُمَّ لَحِقْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَشِينَا أَنْ نُقْتَطَعَ، أَرْفَعُ فَرَسِي شَأْوًا وَأَسِيرُ عَلَيْهِ شَأْوًا، فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: أَيْنَ تَرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: تَرَكْتُهُ بِتَعْهَنَ، وَهُوَ قَائِلٌ السُّقْيَا، فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَصْحَابَكَ أَرْسَلُوا يَقْرَءُونَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ، وَإِنَّهُمْ قَدْ خَشُوا أَنْ يَقْتَطِعَهُمُ العَدُوُّ دُونَكَ فَانْظُرْهُمْ، فَفَعَلَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا اصَّدْنَا حِمَارَ وَحْشٍ، وَإِنَّ عِنْدَنَا فَاضِلَةً؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا» وَهُمْ مُحْرِمُونَ[2].

(1) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج3/ 414.
(2) صحيح البخاري ج1/ 540. وصحيح مسلم ج8/ 88.

وفي الحديث أن مجموعة من الصحابة وهم في صلح الحديبية وجدوا حمار وحش، وهم محرمون فضحكوا لأنهم لم يستطيعوا صيده بسبب الإحرام، وكان معهم أبو قتادة وهو ليس محرم، فصاده وأخبر الرسول بذلك، فأمر أصحابه بالأكل منه وهم محرمون.

وفي قوله: (فبصر أصحابي بحمار وحش) في رواية الكشميهني (نظر أصحابي بحمار وحش) تعدى (نظر) بـ (الباء) وذلك لتضمنه معنى (بصر) [1]، وقد ورد (نظر) في القرآن الكريم متعديًا بـ (إلى) نحو قوله تعالى:"**فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**" عبس: 24. **وقوله تعالى:** "**وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا**" طه: 97، "ويقال : نظر إليك الجبل : أي قابلك، وداره تنظر إلى داري أي بإزائها ومقابلة لها، وأنا أنظر إلى الله ثم إليك : معناه أتوقع فضل الله ثم فضلك"[2]. و(نظر) يتعدى بـ (من) كما في قوله تعالى: " **يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ**"الشورى:45 عندما تضمن معنى (غض) المتعدي بـ (من) كما في قوله تعالى:" **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**"النور:31 والغضاضة الفتور في الطرف، فهم ينظرون بطرف خفي من الذل والمهانة. وهكذا يتلون الفعل بفضل التضمين ، فتارة يتعدى بـ (الباء) وتارة بـ (اللام) وتارة بـ (من) وتتوالى دلالاته لتبهرنا هذه اللغة العظيمة ، وتكشف لنا عن أسرارها الدفينة.

وقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ: «إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ، إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ» ، فَبَسَطْتُ نَمِرَةً عَلَيَّ، **حَتَّى إِذَا قَضَى**

(1) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج4/ 33.
(2) معجم الأفعال المتعدية بحرف،388.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ"[1].

وفي الحديث أن أبا هريرة كان يلزم الرسول حتى يحفظ الأحاديث ، وقد أخبرهم الرسول أن من يبسط ثوبه حتى انتهاء قوله، ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعي ما يقوله الرسول، ففعل أبو هريرة ذلك وبسط ثوبه، ثم ضمَّه إلى صدره بعد انتهاء حديث الرسول فلم ينسَ بعد ذلك شيئًا من قول الرسول.

وفي قوله (جمعتها إلى صدري) ضمن (جمع) معنى (ضم)، ومن ذلك قوله تعالى "**اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ**"النساء: 87. (إلى) على بابها معناها الغاية، ويكون الجمع في القبور أو على تضمين (يجمع) معنى (يحشر) الذي يتعدى بـ (إلى) وهكذا تبقى (إلى) على أصلها ليست بمعنى (في) وإنما جرى التضمين في الفعل.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي **مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورَهَا**، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ"[2].

يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى لن يحاسبنا على ما نحدث به أنفسنا من السيئات مالم نعمل به أو نتكلم به.

---

(1) صحيح البخاري ج2/ 609 وصحيح مسلم ج 16/ 46. قضى : أتمه وفرغ منه. (لسان العرب: قضى).
(2) صحيح البخاري ج2/ 762. تجاوز : أي عفا الله عنهم. وسوست : الوسواس حديث النفس،(لسان العرب: جوز، وسس).

و (صدورَها) بالفتح على أن (وسوست) مضمن معنى (حدثت)[1]. وتعدى الفعل وسوس بـ (البـاء) وهـو لا يتعـدى بهـا، وهـو يتعـدى بـ (الـلام) فيقـال: وسوسـت لـه نفسـه، وبـ (إلى) وسوست إليه: حدثته، وبـ (في) فيقال وسوس في صدره الشّيطان : حدّثه في نفسه[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ** يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلاَنِ الجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى القَاتِلِ، فَيُسْتَشْهَدُ"[3].

وفي الحديث أن – الله سبحانه وتعالى – يرضى عن رجلين يقتل أحدهما الآخر ويدخلان الجنة؛ أي يقاتل المسلم في سبيل الله، فيقتله الكافر، ثم يسلم هذا القاتل، فيجاهد في سبيل الله، فيستشهد، فيدخل الجنة.

ضمن (يضحك) معنى (الرضا والقبول)، ودلّ على ذلك تعديته بـ (إلى) تقول: ضحك فلان إلى فلان إذا توجه إليه طلق الوجه مُظهرًا للرضا عنه.

وقالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَدْ أَتَانِي اليَوْمَ رَجُلٌ، فَسَأَلَنِي عَنْ أَمْرٍ مَا دَرَيْتُ مَا أَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا مُؤْدِيًا نَشِيطًا، يَخْرُجُ مَعَ أُمَرَائِنَا فِي المَغَازِي، فَيَعْزِمُ عَلَيْنَا فِي أَشْيَاءَ لاَ نُحْصِيهَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ، إِلَّا أَنَّا «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَسَى أَنْ لاَ يَعْزِمَ عَلَيْنَا فِي أَمْرٍ إِلَّا مَرَّةً حَتَّى نَفْعَلَهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَزَالَ بِخَيْرٍ مَا اتَّقَى اللَّهَ،

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري5/ 187.
(2) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،430.
(3) صحيح البخاري ج2/ 875 وصحيح مسلم ج13/ 32.

وَإِذَا شَكَّ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ سَأَلَ رَجُلًا، فَشَفَاهُ مِنْهُ، وَأَوْشَكَ أَنْ لاَ تَجِدُوهُ، وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَذْكُرُ مَا غَبَرَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا كَالثَّغْبِ شُرِبَ، صَفْوُهُ وَبَقِيَ كَدَرُهُ»[1].

وفي الحديث أن رجلًا سأل عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – إذا خرج مع الأمير إلى الحرب، فشدّ عليه الأمير بأمور لا يطيقها ولا يدري أطاعة هي أم معصية، فهل يطيعه أم يعصيه؟ فأجابه عبد الله بن مسعود بأنهم كانوا يطيعون الرسول في كل ما يأمرهم ، فأفتاه ابن مسعود بوجوب الطاعة بشرط أن يكون المأمور به موافقًا للتقوى.

وقوله (**إذا شك في نفسه شيء**) ضمن (شكَّ) معنى (لصق)[2] وتأويله إذا شكَّ لاصقًا في نفسه شيء، وإلا فالأصل أن يقول: (إذا شكَّ نفسه في شيء). و (شك) تتعدى بـ (في) ومن ذلك قولك: شككت في كذا، و شكّ فلان في الأمر، وشكّ في سلاحه : لبسه تمامًا ولم يدع منه شيئًا، وتتعدى بـ (على) وشكّ على الأمر إذا شككت فيه ولم تستيقنه،وشكَّهُ عليه: جمعه وزرّه بشوكة أو خلال، وبـ (الباء) وشكه بالرُّمْح: خرقه وأدخله في اللَّحم،[3].

ومن ذلك قول عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثيابهُ ليسَ الكريمُ على القنا بمُحرَّمِ[4]

وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الحَمِيدِ، حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقُلْ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلاَمَ، ثُمَّ سَلْهَا، **أَنْ** أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَأُوثِرَنَّهُ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قَالَ: لَهُ مَا

(1) صحيح البخاري ج2/ 912. مؤديًا : أي تام السلاح كامل أداة الحرب. الثَّغْب : الغدير يكون في ظل جبل لا تصيبه الشمس، فيبرد ماؤه، (لسان العرب : أدا ، ثغب).
(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج6/ 136.
(3) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،182.
(4) ديوان عنترة 210.وفي رواية أخرى: فشككتُ بالرُّمْحِ الأصَمِّ ثيابهُ والكُفْرُ مخبَثَةٌ لنفْس المُنْعِمِ (أنظر معجم الأفعال المتعدية بحرف182).

لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنَتْ لَكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَالَ: " مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ المَضْجَعِ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمُوا، ثُمَّ قُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي، فَادْفِنُونِي، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ، إِنِّي لاَ أَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَمَنِ اسْتَخْلَفُوا بَعْدِي فَهُوَ الخَلِيفَةُ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، فَسَمَّى عُثْمَانَ، وَعَلِيًّا، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَوَلَجَ عَلَيْهِ شَابٌّ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ، كَانَ لَكَ مِنَ القَدَمِ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ الشَّهَادَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ، فَقَالَ: لَيْتَنِي يَا ابْنَ أَخِي وَذَلِكَ كَفَافًا لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي، أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ خَيْرًا، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا **الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ** أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لاَ يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ"[1].

وهذا الحديث من وصية عمر بن الخطاب بعد طعنه يوصي بها الخليفة من بعده خيرًا بالمهاجرين الأوائل والأنصار وبمن سكن المدينة ولزم الإيمان.

وقوله (والإيمانَ) ضمن تبوّءوا معنى لزم[2]، فالمراد الذين سكنوا الدار ولزموا الإيمان. وتضمين الفعل معنى فعل آخر لا يقتصر على تعدية الفعل بحرف جر لا يتعدى به عادة فقط بل يشيع تضمين الفعل فعلًا آخر في المعنى في المفعول المنصوب بغير فعله كما في (علفتها تبنًا وماءً باردًا)، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ

(1) صحيح البخاري ج3/ 1139. تبوَّءوا : أصلحه وهيّأه واتخذه منزلًا ومقامًا، (لسان العرب: بوأ).
(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج7/ 80.

مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، **فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ**، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[1] .

ففي تغيير المنكر (فبقلبه) يكون تقدير الحديث: فإن لم يستطع فليغيره بقلبه، و(غيَّر) مما يتعدى لمفعوله بنفسه، وإذا عُدّي بـ (الباء) كان مدخول الباء هو أداة التغيير ووسيلته كما في (فليغيره بيده) فلما تعدى الفعل هنا بـ (الباء) وكان (القلب) مما لا يكون أداة للتغيير أو وسيلة له وجب إما حمل معنى (التغيير) على التغيير المعنوي لا الحسي كما في اليد، أو على تضمين فعل (التغيير) معنى فعل آخر كـ (الإنكار)، والتقدير (فلينكره بقلبه) ومن ذلك أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم:"**مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**"[2]. ويكون التقدير (أو صدق كاهنًا) فيصير من باب (علفتها تبنًا وماءً باردًا) ، أو يقال : من أتى حائضًا أو امرأة بالجماع أو كاهنًا بالتصديق. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" **نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُضَحَّى بِأَعْضَبِ القَرْنِ وَالأُذُنِ**"[3]. أي مكسورة القرن ومقطوع الأذن. ومنه ما ورد في الحديث:" **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ وَالصَّوَاعِقَ**"[4]. بنصب الصواعق، والصواعق إنما تُرى ولا تُسمع، فضمن (سمع) معنى فعل آخر، ويكون التقدير" إذا سمع صوت الرعد وأحس الصواعق.

ومن ذلك الحديث الشريف:" " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: **رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ**

(1) صحيح مسلم ج1/ 69 .
(2) سنن الترمذي ج1/ 242.
(3) سنن الترمذي ج4/ 90.
(4) سنن الترمذي ج5/ 503

بِالشِّـعْرِ، فَقَـالَ: مَـا شَـفَيْتَنِي مِمَّـا أَرَدْتُ، فَتَـزَوَّدَ وَحَمَلَ شَـنَّةً لَـهُ فِيهَـا مَـاءٌ، حَتَّـى قَـدِمَ مَكَّـةَ، فَـأَتَى المَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلاَ يَعْرِفُهُ، ..." [1]

وفي الحديث أنه لمَّا بلغ أبا ذرٍّ مبعثُ الرسول صلى الله عليه وسلم ، أرسل أخاه لتقصي هذا الأمر، فعاد وقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلامًا ما هو بالشعر، فلم يكفِه ذلك، وسافر حتى جلس مع النبي وأسلم.

وقوله (كلامًا) منصوب بالعطف على الضمير المنصوب، وفيه إشكال لأن الكلام لا يرى، وهو من قبيل (علفتها تبنًا وماءً باردًا) وفيه الوجهان: الإضمار أي وسقيتها، أو ضمن العلف معنى الإعطاء[2]، وهنا يمكن القول: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وسمعته يقول كلامًا ما هو بالشعر، أو ضمن الرؤية معنى الأخذ عنه، وتأويله رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وأخذت عنه كلامًا ما هو بالشعر.

وعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ عُثْمَانَ، **فَذَكَرَ عَنْ مَحَاسِنِ عَمَلِهِ**، قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوءُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ اللَّهُ بِأَنْفِكَ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ عَلِيٍّ **فَذَكَرَ مَحَاسِنَ عَمَلِهِ**، قَالَ: هُوَ ذَاكَ بَيْتُهُ، أَوْسَطُ بُيُوتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوءُكَ؟ قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ اللَّهُ بِأَنْفِكَ انْطَلِقْ فَاجْهَدْ عَلَيَّ جَهْدَكَ "[3].

وفي الحديث أن رجلًا سأل ابن عمر عن عثمان فأخبره عن أعماله الحسنة، ثم سأله عن علي، فأخبره عن محاسن عمله، فلم يسره ما قال، فدعا عليه ابن عمر أن يوقع به السوء.

---

(1) صحيح البخاري ج3/ 1178 وصحيح مسلم ج16/ 28.
(2) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج201/7.
(3) صحيح البخاري ج3/ 1141. أرغم : فالرغم هو التراب أي ألزقه التراب. (لسان العرب، رغم).

وفي قوله (فذكر عن محاسن عمله) ضمن (ذكر) معنى أخبر[1] فعداها بـ (عن) وهي في الأصل لا تتعدى بها وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "**وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**" الكهف: 24 وقوله تعالى: "**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ**" مريم: 16.

فيقال ذكر لفلان حديثًا: قاله له، وذكَّره الشيء، وذكَّره به: جعله يذكره، واستذكر بدراسته : طلب بها الحفظ، وتذاكروا في الأمر تفاوضوا[2].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **جَمَعَ أَبَوَيْهِ** لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»[3].

وفي الحديث يخبرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لم يسمع النبي يجمع أبويه، ويقرنهما في القول فيقول: فداك أبي وأمي ، إلا لسعد بن مالك.

وفي قوله(جمع أبويه) ضمن(جمع) معنى(قرن) والمتعدي بـ(اللام)، ويبقى للحرف دوره للكشف عن الغرض وللسياق حكمه في توجيه المعنى والدلالة على القصد.أما في قوله تعالى: " **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ** "آل عمران25 قال الألوسي[4] ليوم : أي في يوم .

ولعل (جمع) هنا تضمن معنى (أحصى) وهكذا تتزاحم الأغراض من (أحصى) إلى (قرن)، إلى تشدد (جمع القوم لعدوهم: تشددوا لقتاله)، إلى لبس (جمع عليه ثيابه: لبسها) إلى عزم (وأجمع على الأمر: عزم عليه)[5] وذلك حسب انتظامه في السياق، وتلوح دلالات الفعل من وراء التضمين أما التناوب في الحروف: ليوم أي في يوم، فلا توجد معانٍ جديدة فوق معناه.

---

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج85/7.
(2) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،111.
(3) صحيح البخاري ج3/ 1236 وصحيح مسلم ج5/ 149.
(4) روح المعاني 2/ 211.
(5) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،37.

وفي الحديث الشريف تخبرنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول:"... كَانَ لِعَلِيٍّ مِنَ النَّاسِ وَجْهٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتِ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ النَّاسِ، فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِعُ تِلْكَ الأَشْهُرَ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ: أَنِ ائْتِنَا وَلاَ يَأْتِنَا أَحَدٌ مَعَكَ، كَرَاهِيَةً لِمَحْضَرِ عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: لاَ وَاللَّهِ لاَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَحْدَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: **وَمَا عَسَيْتَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي**، وَاللَّهِ لآتِيَنَّهُمْ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا فَضْلَكَ وَمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ، وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ عَلَيْنَا بِالأَمْرِ، وَكُنَّا نَرَى لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيبًا، حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي..."[1]

وفي الحديث أن فاطمة الزهراء – رضي الله– عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفض أبو بكر وذكرها بقول الرسول " إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة " فغضبت فاطمة على أبي بكر، وبعد وفاتها أرسل علي إلى أبي بكر رضي الله عنهما لمبايعته، فطلب منه عمر رضي الله عنه ألّا يذهب وحده فقال له أبو بكر: ما عسيتهم أن يفعلوا بي، فذهب وبايعه علي.

وفي قوله (ما عسيتهم أن يفعلوا بي) قال ابن حجر العسقلاني: فيه شاهد على صحة تضمين بعض الأفعال معنى فعل آخر وإجرائه مجراه في التعدية ، فإنّ (عسى) في هذا الكلام قد تضمنت معنى (حسبت)، وأجريت مجراها، فنصبت ضمير الغائبين على أنه مفعول به أول ونصب (أن يفعلوا) تقديرًا على أنه مفعول به ثان، وكان حقه أن يكون عاريًا من

(1) صحيح البخاري ج3/ 1286 وصحيح مسلم ج67/12.

أن كما لو كان بعد حسب، ولكن جيء بـ(أن) لئلا يخرج عسى بالكلية عن مقتضاها، ولأن أن قد تسد بصلتها مسد مفعولي حسب فلا يستبعد مجيئها بعد المفعول الأول بدلًا منه وسادة مسد ثاني مفعوليها. وقال: يجوز حمل" ماعسيتهم " حرف خطاب والهاء والميم اسم عسى، والتقدير ما عساهم ان يفعلوا بي، وهو وجه حسن.[1]

وقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، **إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً** إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ " [2].

وهذا القول لكعب بن مالك حينما تاب الله عليه حين تخلّف عن غزوة تبوك، فأراد أن يتصدق بجميع ماله، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أمره أن يُبقي له بعض ماله ففعل.

و(صدقةً) يجوز انتصابه بـ (أنخلع) لأنه ضمن (أنخلع) معنى (أتصدق)[3].

ويتعدى الفعل (خلع) بـ (على) خلع عليه: ألبسه خِلْعةً: (نزع ثوبه وطرحه عليه) وبـ (عن) خلع الرِّبْقة عن عنقه: نقض عهده، وبـ (من) خلع اليد من الطّاعة: خرج منها، وانخلع من ماله: خرج منه وتصّدق، وبـ (في) تخلّع فلان في مشيه : تفكَّك فهزّ يديه ومنكبيه متبخترًا[4].

(1) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج570/7 وإرشاد الساري ج9/ 244.
(2) صحيح البخاري ج3/ 1335 وصحيح مسلم ج17/ 80. أنخلع : أي أخرج منه جميعه وأتصدق به وأُعرَّى منه كما يُعرَّى الإنسان إذا خلع ثوبه،(لسان العرب: خلع).
(3) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج8/ 141.
(4) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف، 87.

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنهاَ،قالَتْ:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا** أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ..."[1].

وفي هذا الحديث تروي لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما جرى في حادثة الإفك وتخبرنا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج إلى غزوة أقرع بين نسائه، فأيّتهنَّ خرج سهمها خرجت معه.

وفي قولها:(يخرج سفرًا) نصب سفرًا على المفعولية لأنه ضمن (يخرج) معنى (ينشيء)[2]. ويتعدى الفعل(خرج) بـ (الباء) فيقال خرج به، وبـ (في) فيقال: خرج فلان في العلم والأدب: نبغ فيه، وبـ (من) فيقال: خرج من دَيْن فلان : قضاه إياه، وبـ (على) فيقال: خرج عليه : نبذ طاعته بعد بيعته، وبرز لقتاله وتخرج على فلان: تأدب وتَعَلَّمَ أنواع العلوم، وخرجت الرعية على الملك : تمردت.[3]

وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ المَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ **مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ**، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»[4]. يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن ما من نبي من الأنبياء إلا وكانت له معجزة من شأن

---

(1) صحيح البخاري ج 1484/3،وصحيح مسلم ج86/17.
(2) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج8/ 533.
(3) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،76.
(4) صحيح البخاري ج4/ 1607 وصحيح مسلم ج2/ 160. مِثْله : هو عين الشيء وما يساويه. تابعًا : سار في أثره. لسان العرب: مثل، تبع.

من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها، وأن معجزته عليه الصلاة والسلام ما نزل عليه من الوحي من القرآن الكريم، وتمنى الرسول أن يكون أكثر الرسل تبعًا يوم القيامة.

وفي قوله: (آمن عليه) تعدى (آمن) بـ (على) بدلاً من (اللام) لتضمنه معنى (الغلبة)[1] وتأويله: يؤمن بذلك مغلوبًا عليه إذ لا يستطيع دفعه عن نفسه، ولكن قد يجحد فيعاند. وإلا فأصل الكلام أن يكون آمن له البشر، ومن ذلك قوله تعالى:" **فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ**" يونس: 83.

ويحدثنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن غضب الرسول عليه عند لبسه الحرير فيقول: «**آتى إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةَ سِيَرَاءَ**، فَلَبِسْتُهَا، فَرَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي»[2].

وفي الحديث أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أهداه الرسول صلى الله عليه وسلم رداءً من حرير، وعندما لبسه شاهد الغضب في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، فشقها بين نسائه.

وفي قوله (آتى) بالمد أي أعطى، ثم ضمن (أعطى) معنى (أهدى) أو أرسل لذلك عداه بـ (إلى) وهي بالتشديد[3]. و(أتى) يتعدى بنفسه، ويتعدى بحرف، ويجيء لازمًا ويختلف معناه حسب سياقه، ففي مجيئه لازمًا ما ورد في قوله تعالى:" **أَتَى أَمْرُ اللّهِ**"النحل:1 أي دنا واقترب، وفي تعديته ما ورد في قوله تعالى:" **وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** "البقرة:189 أي ادخلوها.

---

(1) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج9/ 8.

(2) صحيح البخاري ج4/ 1728 وصحيح مسلم ج14/ 42. حلّة : رداء وقميص وتمامها العمامة. سيراء : الحرير الصافي أي حلة حرير، (لسان العرب:حلل، سير)

(3) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج12/ 139.

وقوله تعالى: " **وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ** "العنكبوت:29 أي تمارسون. وهكذا فإن طلب المعنى من وراء اللفظ معزولًا عن نظمه وحصر (الإتيان) بمعنى (المجيء) وقصره على معناه المعجمي يغفل الكثير من المعاني التي تتأتى من خلال السياق، نعم تختلف دلالة اللفظ حسب السياق الذي ينتظم فيه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قدَحٍ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ، **الحَقْ إلى الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ إِلَيَّ** قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا، فَأُذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا"[1].

وفي الحديث يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أبي هريرة أن يدعو له أهل الصفة، وهم أُناس فقراء لا منازل لهم، فأحضرهم وأسقاهم اللبن.

وفي قوله: (الحق إلى الصفة) عُدي (الحق) بـ (إلى)؛ لأنه ضمنها معنى (انطلق)[2] وهي في الأصل تتعدى بـ (الباء) فيقال : ألحق به: أدركه فهو ملحق، ومن ذلك قوله تعالى:" **وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ**"آل عمران170 وقوله تعالى:" **رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**"الشعراء83. فالملاحظ في الآيات أن الفعل (الحق) تعدى بـ (الباء) فأعطى معنى الإدراك، ولكنه عندما تعدى بـ (إلى) في الحديث تضمن بالإضافة إلى معنى (الإدراك) معنى الانطلاق، وتأويله انطلق إلى أهل الصفة مدركًا إياهم.

---

(1) صحيح البخاري ج4/ 2027 وصحيح مسلم ج2/ 1051.
(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج11/ 323.

وعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»[1]

وفي الحديث يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنه بُعث ويوم القيامة كهاتين ومدّ إصبعيه السبابة والوسطى وهو كناية عن القرب. وقوله (الساعة) بالنصب على تضمين (بعثت) معنى يجمع إرسال الرسول ومجيء الساعة نحو (جئت) [2].

وحَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ **يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ** يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا.[3]

وفي الحديث سأل رجل الرسول صلى الله عليه وسلم كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة، فأجابه الرسول بأن الله الذي أمشاه على رجليه في الدنيا لقادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة.

وفي قوله (يحشر الكافر على وجهه) ومنه قوله تعالى:" **الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ**"الفرقان:34 فقد ضمن (حشر) معنى (جر) لذا عدي تعديته فـ (حشر) يتعدى بنفسه كما في قوله تعالى:" **فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ** "مريم: 68 ويتعدى بـ (إلى) ومن ذلك قوله تعالى:" **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**"مريم: 85 ولا يتعدى بـ (على). ولعل تخصيصه بمعنى (جر) تنزله أفضل منازله ففي الحديث : " **وَتُجَرُّونَ عَلَى**

(1) صحيح البخاري ج4/ 2039 وصحيح مسلم ج6/ 134.
(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج397/11.
(3) صحيح البخاري ج4/ 2044 وصحيح مسلم ج17/ 123.

وُجُوهِكُم"[1]. ولا يخفى ما في الجر على الوجوه من الإهانة والمذلة، فالمشهد مقلوب كانقلاب مقاييسهم في منطقهم العقيم مع الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقال أَبو سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، **لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ** مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[2].

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن حال المؤمنين يوم القيامة فإذا نجا المؤمنون من السقوط في النار، حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص بعضهم من بعض، حتى إذا لم يبق في قلوبهم غل دخلوا الجنة وكلٌ يعرف منزله فيها.

وفي قوله (أهدى بمنزله) فأهدى لا يتعدى بـ (الباء) بل يتعدى بنفسه أو بـ (اللام) أو بـ (إلى) وذكر الفيروز أبادي" هداه الله الطريق وله وإليه"[3] وعندما عدي بـ (الباء) ضمن معنى (اللصوق)[4] وتأويله لأحدهم ألصق بمنزله هاديًا إليه، ومثله قوله تعالى: " **يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**"يونس:9. وفي قوله تعالى:" **وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**"الأعراف:181 ضمن(هدى) معنى (أمر)، وقد ورد (هدى) متعديًا بنفسه في قوله تعالى:" **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**" الفاتحة: 6 على تضمين (هدى) معنى (سلك)، وعندما ضمنه معنى (ردّ) عداه بـ (عن) كما في قوله تعالى:" **وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ**"النمل:81، انظروا كيف يكشف

(1) الترمذي ج616/4
(2) صحيح البخاري ج4/ 2047. القنطرة : جسر متقوّس مبنيٌّ فوق النهر يعبر عليه، (المعجم الوسيط : قنطر).
(3) القاموس المحيط : هدى.
(4) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج11/ 456.

لنا التضمين أسرار هذه اللغة فيجعل المتعدي بـ (اللام) متعديًا بـ (عن) أو بـ (الباء) ومع كل حرفٍ يأتي بدلالة جديدة تنسجم مع السياق المنتظمة فيه.

وعنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: " يَجْمَعُ اللَّهُ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: **لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا** حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا..." [1].

وفي الحديث يخبرنا الرسول – صلى الله عليه وسلم– أن الناس يجتمعون يوم القيامة لطلب الشفاعة، ثم يذهبون إلى سيدنا آدم، ثم إلى سيدنا نوح، ثم إلى سيدنا إبراهيم، ثم إلى سيدنا موسى، ثم إلى سيدنا عيسى، فيرسلهم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتونه، فيستأذن على ربه ويشفع لهم حتى ما يبقى في النار إلّا من كان خالدًا فيها.

وفي قوله (استشفعنا إلى ربنا) ضمن(استشفعنا) معنى (سعى)[2] لأن الاستشفاع طلب الشفاعة وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى فعدّاها بـ (إلى) وتأويله لو استشفعنا ساعين إلى ربنا. وقد وردت بالقرآن متعدية بـ (اللام) كما في قوله تعالى:" **فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا**"الأعراف53.

ويقال: شفعت له إلى فلان، وأنا شافعه وشفيعه، وتشفعت له إليه، فشفعني فيه، واستشفعني إليه فشفعت له، واستشفع بي ، وشفع فيه طلبه بالشفعة، وتشفع له إلى فلان: سأله قضاء حاجته[3].

---

(1) صحيح البخاري ج4/ 2063 وصحيح مسلم ج1/ 163.استشفعنا : أي السؤال في التجاوز عن الذنوب والخطايا،(لسان العرب: شفع).
(2) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج494/11.
(3) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،180.

وحَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ – أَوْ: الرَّجُلَ – **يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ**، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، **فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ**، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا»[1].

وفي الحديث يخبرنا الرسول أن النطفة تجمع في رحم المرأة أربعين يومًا، ثم تخلق بعد ذلك علقة ،ثم مضغة، ثم يبعث الله ملكًا، فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقي هو أو سعيد، وإن الرجل يعمل السيئات حتى يكون قريبًا من النار، فيتوب ويدخل الجنة، وأن الرجل يعمل الأعمال الحسنة حتى يصبح قريبًا من الجنة فيعمل عمل أهل النار فيدخلها.

وفي قوله (يعمل بعمل أهل النار) ضمن (يعمل) معنى (يتلبس)[2] وتأويله يعمل متلبسًا بعمل أهل النار، فعدّاها بـ (الباء).

وفي الفعل (عمل) يقال: أعمل ذهنه في كذا: دبَّره بفهمه، واعتمل بنفسه أو لنفسه: أعمل رأيه وآلته، وتعمَّل من أجله : تَعَنَّى واجتهد[3].

وفي قوله (فيسبق عليه الكتاب) ضمن (يسبق) معنى (يغلب)[4] وتأويله فيسبقه غالبًا عليه الكتاب.

---

(1) صحيح البخاري ج2063/5 وصحيح مسلم ج158/16. علقة : هي قطعة الدم الجامد قبل أن ييبس. المضغة : قطعة من اللحم. باع : هو قدر مدّ اليدين وما بينهما من البدن.(لسان العرب:علق،مضغ، بوع)
(2) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج11/ 558.
(3) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،249.
(4) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج11/ 558.

وفي الفعل (سبق) يقال: سبقه إلى كذا: تقدّمه، وسبقه على كذا: غلبه، وسبق على قومه: علاهم كرمًا، وأسبق القوم إلى الأمر: بادروا إليه، وسُبقت عليه: غُلبت[1]، ومن ذلك قوله تعالى: " **وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ**"الواقعة: 60، 61.

وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَكَّلَ لِي مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، **تَوَكَّلْتُ لَهُ الْجَنَّةَ**»[2] .

وفي الحديث يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن من تكفّل له ما بين رجليه أي ابتعد عن الزنا ومن حفظ لسانه فقد ضمن له الجنة.

وقد وردت في رواية أبي ذر عن المستملي والسرخسي[3] كلمة (الجنة) بالنصب لأنه ضمن (توكلت) معنى (ضمنت)، والأصل أن يقول: (توكلت له بالجنةِ) كما في قوله تعالى:" **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**" السجدة 11. ويكشف لنا التضمين أسرار الفعل (وكل) فها هو يتعدى بـ (على) فيقال: اتكل على الله، واتّكل عليه في أمره : اعتمد، ومنه قوله تعالى:" **أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**"القصص28، فهو هنا تضمن معنى الشهادة، فالله سبحانه وتعالى وكيل وشهيد.

(1) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،158/157.

(2) صحيح البخاري ج12/ 130. توكل : يقال توكل بالأمر إذ ضمن القيام به، (لسان العرب : وكل).

(3) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج12/ 130.

وأنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **أَنْشُدُكَ اللَّـهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِـي بِكِتَابِ اللَّهِ**، فَقَالَ الخَصْمُ الآخَرُ: وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، نَعَمْ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ..."[1].

وفي الحديث جاء رجلان للرسول صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما، وكان ابن أحدهما قد زنى بامرأة الآخر فحكم على الزاني بالجلد مائة جلدة وتغريب عام، وعلى الزانية بالجلد.

وفي قوله (أنشدك الله) ضمن (أنشدك) معنى (أذكرك) فحذف الباء[2] وتأويله أذكرك رافعًا نشيدتي أي صوتي.

وفي القسامة يروي لنا أبو قلابة قصة عبد الملك بن مروان مع الرجل "...وَقَدْ كَانَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَقَادَ رَجُلًا بِالقَسَامَةِ، ثُمَّ **نَدِمَ بَعْدَ مَا صَنَعَ**، فَأَمَرَ بِالخَمْسِينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا، فَمُحُوا مِنَ الدِّيوَانِ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى الشَّأْمِ..."[3].

ضمن (ندم) معنى (كره)[4] ويتعدى (ندم) بـ (على) فيقال: ندم على الأمر، وندّمني عليه، ونادمه على الشراب.

وأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ **قَضَيْتُ لَـهُ بِحَـقِّ أَخِيـهِ شَـيْئًا**، بِقَوْلِـهِ: فَإِنَّمَا أَقْطَـعُ لَـهُ قِطْعَـةً مِـنَ النَّـارِ فَـلاَ يَأْخُذْهَا"[5].

وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع رجلين يختصمان ببابه، فخرج عليهما وأخبرهما إنما هو بشر فإن حكم لأحدهما وهو لا يستحق فكأنه قطع له قطعة من النار.

---

(1) صحيح البخاري ج5/ 2129 وصحيح مسلم ج11/ 71. عسيفًا : فالعسيف الأجير المستهان به.(لسان العرب: عسف)
(2) انظرفتح الباري في شرح صحيح البخاري ج12/ 158.
(3) صحيح البخاري ج2153/5 وصحيح مسلم ج11/ 108.
(4) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج12/ 282.
(5) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج 205/13و صحيح مسلم12/ 5

وفي قوله (قضيت له من أخيه شيئًا) ضمن (قضيت) معنى (أعطيت)[1]. فالفعل (قضى) يتعدى بنفسه ومن ذلك قوله تعالى:" **فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ**"القصص:29 فلما تضمن معنى العطاء تعدى بـ (اللام)، وأما في قوله تعالى:" **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ**"الأسراء :4 فقد تعدى بـ (إلى) لتضمنه معنى الوحي وإنهاء الخبر إليهم وإعلامهم عما سيفعلون، فالله لا يقضي بالفساد، ولما تضمن القضاء معنى الجزاء والحكم عداه بـ (الباء) كما في قوله تعالى:" **وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ**"غافر:20 وحين تعدى بـ (على) تضمن معنى (أجهز) كما في قوله تعالى:" **فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**"القصص:15 وتتجلى دلالات الفعل قضى من خلال التضمين، فمع كل حرف دلالة جديدة.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ **أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**» وَقَالَ: «إِنَّ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لاَ تَدْخُلُهُ المَلاَئِكَةُ»[2].

وفي الحديث دليل على تحريم الصّور وأن أصحابها يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم أحيوا ما خلقتم.

وفي قوله(خلقتم)، ضمن معنى (صورتم)[3] تشبيهًا بالخلق، فهو لم ينسب الخلق إليهم.

ويقال في (خَلُقَ) خَلُقَ له، وخَلُقَ منه، ويقال : أخلقت له ديباجتي : أي أطلعته عل دخيلة أمري الذي استنكف من كشفه[4].

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج206/13.
(2) صحيح البخاري ج5/ 2363، وصحيح مسلم ج3/ 1669.
(3) فتح الباري في شرح صحيح البخاري13/ 618.
(4) انظر معجم الأفعال المتعدية بحرف،89.

وعَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، **وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ**، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ "[1].

وفي الحديث يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يدعى الرجل لغير أبيه، وأن من ادعى ما ليس له سيدخل النار، ومن رجم رجلًا بالكفر وهو ليس كذلك رجع إليه ما نسب إليه.

وفي قوله (دعا رجلا بالكفر) ضمن (دعا) معنى (رجم).

ويتعدى الفعل (دعا) تارة بـ (من) وتارة بـ (إلى) وتارة بـ (على) وتارة بـ (في) وقد سبق معالجة الفعل (دعا) في حديث سابق ص81 .

(1) صحيح مسلم ج44/2. حار : أي رجع إليه، لسان العرب: حور.

أحاديث لا يرّجح القول بالتضمين فيها

في هذا المبحث سيتم إيراد مجموعة من الأحاديث لا يمكن حملها وفق أسلوب التضمين لعدم توافقها مع شروط التضمين والحمل على المعنى فيها أولى:

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي **لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي**، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «العِلْمَ»[1].

وفي الحديث يخبرنا الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم أنه رأى في المنام أنه أُتي بقدح من اللبن فشرب حتى ارتوى، ثم أعطي عمر بن الخطاب ما تبقى في القدح، وقد فسر ذلك عليه الصلاة والسلام بالعلم.

وقد عدّي يخرج بـ (في) وهو يتعدى بـ (من)، وذلك لشدة تمكن الري منه والأصل أن يقول يخرج من أظافري ومن ذلك قوله تعالى" **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ**" الكهف:5 وقوله تعالى: " **وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ**" المؤمنون:20.

وقول الفرزدق:

عَلى قَسَمٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِيَّ سُوءُ كَلَامِ[2]

وقد عبّر بـ (يخرج) المضارع موضع الماضي لاستحضار صورة الرؤية للسامعين وجعل الري مرئيًا تنزيلا له منزلة الجسم[3]، فأضفى ذلك دلالة جديدة تصوّر لنا شدة ارتوائه

(1) صحيح البخاري ج1/ 54 وصحيح مسلم ج15/ 130.

(2) ديوان الفرزدق539.

(3) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج1/ 269.

عليه الصلاة والسلام من اللبن، وذلك دلالة على سعة علمه عليه الصلاة والسلام. وأرى أن لا تضمين في الفعل؛ لأن الفعل لم يفد معنى الخروج والجريان معًا بل عبر بـ (يخرج) عن (يجري ممتلئًا).

ومن ذلك ما ورد في الحديث:" **قَالُوا: لاَ وَاللَّـهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَـهُ إِلَّا إِلَـى اللَّـهِ**"[1]. عدّي (نطلب) بـ (إلى)، وهو يتعدى بـ (من) وتقديره لا نطلب الثمن، لكن الأمر فيه إلى الله، أو لا نطلب ثمنه إلا من الله[2]. ولا تضمين في الحديث والحمل على المعنى فيه أولى.

ومـن ذلـك قولـه صـلى الله عليـه وسـلم:" **حَلَّـتْ لَـهُ شَـفَاعَتِي يَـوْمَ القِيَامَـةِ** "[3]. والمراد (حلّت عليه) أي نزلت ومن ذلك قوله تعالى: " **أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ** "طه:86. ولا تضمين فيه.

أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**العُمْرَةُ إِلَـى العُمْـرَةِ** كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ»[4].

والتقدير العمرة مع العمرة مكفرة لما بينهما، ولا تضمين فيه.

ومن ذلك ما ورد في الحديث " ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ **فَرَفَعَهُ إِلَى يَدَيْهِ** لِيُرِيَهُ النَّاسَ "[5].

---

(1) صحيح البخاري ج153/1صحيح مسلم ج1/ 373.
(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج1/ 623.
(3) صحيح البخاري ج1/ 199.
(4) صحيح البخاري ج523/1 وصحيح مسلم ج2/ 983.
(5) صحيح البخاري ج578/2.

وهو مشكل لأن الرفع إنما يكون باليد، وأجاب الكرماني بأن المعنى يحتمل أن يكون رفعه إلى أقصى طول يده[1] أي انتهى الرفع إلى أقصى غايتها.ولا تضمين فيه.

وقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ لِرَمَضَانَ**: «مَنْ قَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[2]

يقول لرمضان: أي لفضل رمضان أو لأجل رمضان أو عن رمضان[3] ويحمل على المعنى ولا تضمين فيه.

ومن ذلك ما ورد بالحديث " **فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ** "[4].

وعليَّ عيال: أي نفقة عيال، أو لي عيال[5]. ولا تضمين فيه.

وأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُرِيتُ أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ **فَفُظِعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا...**"[6] .

يقال فظع الأمر فهو فظيع إذا جاوز المقدار، والفظيع الأمر الشديد، وجاء هنا متعديًا، والمعروف فظعت به وفظعت منه فيحتمل التعدية على المعنى أي خفتهما، أو معنى فظعتهما اشتد عليَّ أمرهما[7]. وأرى أن تحميله على المعنى أولى ولا تضمين فيه.

---

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج4/ 220.
(2) صحيح البخاري ج2/ 595.
(3) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج4/ 293.
(4) صحيح البخاري ج2/ 687.
(5) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج569/4.
(6) صحيح البخاري ج1322/3.
(7) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج8/ 107.

ظاهرة الزيادة في الحديث النبوي الشريف

ولاستكمال الموضوع لا بد من المرور على ظاهرة الزيادة في النحو العربي، وذكر بعض الشواهد على هذه الظاهرة من الحديث النبوي الشريف، والزيادة المقصودة هنا هي الزيادة في السياق النحويِّ، وما ينتج عنها من معان ودلالات، وليس المقصود الزيادة بالمعنى الصرفيِّ الَّتي تجتمع حروفها في كلمة: (سألتمونيها).

والزيادة كما قال السيوطي:"أن يكون دخولها كخروجها من غير إحداث معنى"[1]، والمراد كون عنصر من عناصر التركيب زائدًا أنَّه لم يُؤت به قصدًا إلى معنى في ذاته، بل ليُتَوصَّل به إلى زيادة المعنى الكائن قبل وجوده. وسبب تسميتها بالزائدة كما ذكر السيوطي" أنها لا يتغير بها أصل المعنى بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته"[2]، وهذه الزوائد تارة تكون حروفًا وتارة تكون أسماء، وأخرى تكون أفعالاً، ومحور بحثنا هي الحروف. ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تتخللها الزوائد:

" **وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ** "[3].

" **أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ** "[4].

" **فَأَرْغَمَ اللَّهُ بِأَنْفِكَ** "[5].

" **أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى** "[6].

ومن الملاحظ في الشواهد السابقة أن (الباء) زائدة.

---

(1) الأشباه والنظائر،247.
(2) انظر المرجع السابق،249.
(3) صحيح البخاري ج2/ 586.
(4) صحيح البخاري ج2/ 842 وصحيح مسلم ج842/2.
(5) صحيح البخاري ج3/ 1141.
(6) صحيح البخاري ج3/ 1142وصحيح مسلم ج4/ 1870.

ومن ذلك أيضًا ما ورد في :" **إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ** "[1].

(من أشدَّ) من زائدة.

" **جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ في مِائَةَ جُزْءٍ**"[2].

(في مائة) في زائدة.

ومن الملاحظ في الحروف الزائدة في الأحاديث السابقة إمكانية الاستغناء عنها، وإنما جاءت للتوكيد وتقوية الكلام.

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج10/ 442 .

(2) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج10/ 489.

رصد شواهد التضمين في الحديث النبوي في صحيحي البخاري ومسلم

ويتضمن هذا المطلب رصدًا لشواهد التضمين في الحديث النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم بشكل إحصائي، حيث عَمَد إلى استقراء الشواهد، ومن ثَمَّ تقسيمها إلى قسمين:

الأول: يتضمن شواهد التضمين في الأسماء.

الثاني: يتضمن شواهد التضمين في الأفعال.

وقد لوحظ اختلاف الباب للشاهد الواحد في الصحيحين؛ وذلك لأن البخاري كان يكرر الحديث في مواضع كثيرة من كتابه يشير في كل منها إلى فائدة تستنبط من الحديث، فهو يفرق الحديث في مواطن متعددة يقصد فقه الحديث، يرويه في كل موطن بإسناد جديد، بينما قصد الإمام مسلم إبراز الفوائد الإسنادية في كتابه؛ لذلك فإنه يروي الحديث في أنسب المواضع به، ويجمع طرقه وأسانيده في ذلك الموضع، ومن أراد الاستزادة فعليه أن يرجع إلى كتاب (منهج النقد في علوم الحديث) لنور الدين عتر.

التّضمين في الأسماء

ولم تقم الدراسة بحصر مواضع التضمين في الأسماء كلها – تجنبًا للتكرار – وإنَّما عَمَدَت إلى اختيار عينة توضيحية لذلك؛ لأن معظم المواضع تعتمد على ذات الموضوع، وإن غلب عليها الشرط والاستفهام، وغير ذلك يندرج ضمنًا مُكرَّرًا في الأبواب.

الرقم	موضع التضمين	صحيح البخاري	صحيح مسلم
1-	"وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذلِكَ شيئاً"	ج1 باب علامة الإيمان حبّ الأنصار. ص30	ج16 باب من لعنه النبي[1] ص 124
2-	"أيْنَ- أُرَاهُ- السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ"	ج1 باب من سُئل علماً وهو مشتغل، فأتمّ الحديث ثمّ أجاب السّائل. ص45	ج1 باب معرفة الإيمان ص36
3-	"مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ"	ج1 باب العلم قبل القول والعمل. ص50	ج2 باب النهي عن المسألة ص78
4-	كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم "يَتَخَوَّلُنَا بالموْعِظَةِ في الأيَّامِ كراهَةَ السَّأَمَةِ علينا"	ج1 باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ص50	ج17 باب الاقتصاد في الموعظة [2] ص135
5-	"مَنْ نُوقِش الحسَابَ يَهْلِكْ"	ج1 من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه. ص60	ج17 باب إثبات الحساب[3]ص171
6-	"مَنْ كَذَبَ عليَّ [4]فليتبوأ مقعده من النَّارِ"	ج1 باب إثم من كذب على النبيِّ صلى الله عليه وسلم.	ج1 باب في تغليظ الكذب على رسول الله ص65

(1) وردت في صحيح مسلم " مَنْ أَصَابَ مِنَ الخيْر شيْئاً"
(2) وردت في صحيح مسلم" كَرَاهِيَةَ".
(3) ورد في صحيح مسلم " هلك".
(4) ورد في صحيح مسلم" متعمدًا".

		ص61	
7-	" سُـبْحَانَ اللهِ، مـاذا أُنْـزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ الفِتنَ"	ج1 باب العلم والعظة بالليل. ص63	ج4 بـاب عـرض مقعـد الميت فـي الجنـة أو النـار عليـه وإثبـات عـذاب القبـر والتعوذ منه ص199
8-	" مَـنْ يُصْـرَعُ فـي سَـبيلِ الله فَمَاتَ فَهُوَ مِنْهُمْ"	ج2 باب فضل من يصرع في سـبيل الله فمـات فهـو مـنهم ص866	
9-	" كُـلُّ سُـلاَمي مِـنَ النَّـاسِ عليه صَدَقَةُ "	ج2بـاب مـن أخـذ بالرّكـاب ونحوه. ص919	ج5 باب استحباب صلاة الضحى [1]ص197-198
10-	" كانَتْ هذِهِ الَعِدَّةُ تَعْتَدُّ عِنّدَ أَهلِ زَوْجِهَا وَاجِباً"	ج4 باب والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً. ص1719	ج10 بـاب المطلقـة ثلاثـاً ص80
11-	مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ	ج4 بـاب الصـبر عـن محـارم الله ص2030، 2031	
12-	مَـا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ		ج4 بـاب التعـوذ مـن سـوء القضاء ص 81

(1) ورد في مسلم " يُصْبُحُ على كُلّ سُلامي مِنْ أَحَدِكُمْ صدقَةُ".

التّضمين في الأفعال

الرقم	موضع التضمين	صحيح البخاري	صحيح مسلم
1-	" وَلَو كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ "	ج1 باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص25	ج 12 باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ص90
2-	" ثُمَّ دعا بكتاب رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم"	ج1 كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله. ص25	ج12 كتاب النبي إلى هرقل لدعوه إلى الإسلام ص91
3-	"ومنَ يكْرَهُ أن يَعُودَ في الكُفْرِ"	ج1 باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان. ص31	ج2 بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان[1] ص12
4-	" إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غير أَهْلِهِ فَانْتَظِر السَّاعَةَ"	ج1 باب من سُئل علماً وهو مشتغل في حديثه،فأتم حديثه ثم أجاب السائل. ص45	
5-	لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا	ج1باب الإنصات للعلماء ص64	ج1باب لا ترجعوا بعدي كفارًا ص 81
6-	" وَفَاطِمَةُ تَغْسِلُ عنْ وجْهِهِ الدَّمَ"	ج1 باب غسل المرأة أباها الدَّم عن وجهه. ص98	ج12 باب غزوة أحد[2] ص125
7-	" ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ بالأَرْضِ"	ج1 باب من توضأ من الجنابة، ثم غسل سائر جسده. ص107	
8-	"قُومُوا فَلأُصَلِّ لَكُمْ "	ج1 باب الصلاة على الحصير.ص141	ج5 . باب جواز الجماعة في النافلة [3]ص138
9-	" وأنا أُصلِّي لِقَوْمِي "	ج1 باب المساجد في البيوت. ص151	ج5 باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذرص135

(1) ورد في مسلم " وأن يكره "
(2) ورَد في مسلم " تَغْسِلُ الدّمَ"
(3) ورد في مسلم " قُومُوا فأصلّي لكُمْ"

10-	" فَإِنّـا نَـرَى وَجْهَـهُ ونَصِـيحَتَهُ إلى المُنَافِقِينَ"	ج1 باب المساجد في البيوت.ص151	ج5 باب الرخصة في التخلف عن الجماعة [1]ص136
11-	" فَاغْفِر الأَنْصارَ "[2]	ج1بـاب هـل ننـبش قبـور مشـركي الجاهليـة ص153	ج12باب غزوة الأحزاب وهي الخندق ص145
12-	" فَلْيَأْخُذْ على نِصَالِهَا"	ج1 باب المرور في المسجد. ص159	ج4 باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرها من المواضع الجامعة ص2019
13-	" أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَهِا"	ج1 باب ذكر البيع والشّراء على المنبر في المسجد. ص159	ج10باب إنماء الولاء لمن أُعتق[3] ص 118
14-	" أَرَأَيْتُمْ لو أَنَّ نهَراً ببَابِ أحَدِكُمْ،تَغْتَسِلُ فيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْساً، مَا تَقُولُ: ذلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ"	ج1 باب الصلوات الخمس كفارة. ص179	
15-	" إذا اشتَدَّ الْحَرُّ فأبْرِدُوا عَنْ الصَّلاةِ"	ج1 باب الإبراد بالظّهر من شدّة الحرّ. ص180	ج5 باب استحباب الأبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضى إلى جماعة وينالـه الحر في طريقه[4] ص99
16-	" وابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الْذِي وَعَدْتَهُ"	ج1 باب الدّعاء عند النّداء. ص199	
17-	"قَرَأَ في المَغْرِبِ بِالطُّور"	ج1 باب الجهر في المغرب ص 235	ج4 باب القراءة في الصبح ص 151[5]

(1) ورد في مسلم " ونصيحته للمنافقينَ"
(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج 1/ 623. وورد في صحيح مسلم" فاغفر للأنصار"
(3) ورد في مسلم " أنّ بريرة جَاءتْ عَائِشةَ تَسْتَعِينُها في كِتَابَتِها"
(4) ورد في مسلم"فأبردوا بالصلاة"
(5) ورد في مسلم " يقرا بالطور".

18-	وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ	ج1 باب الذكر بعد الصلاة. ص256	ج4 باب ما يقول إذا رفع رأسُه من الركوع ص163
19-	" قيلَ: يَكْفُرْنَ باللهِ؟. قَالَ:" يَكْفُرْنَ العَشِيرَ ،وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ"	ج1 باب صلاة الكسوف جماعة.ص315	ج2 باب بيان نقصان الإيمان[1] ص57
20-	" مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ"	ج1 باب إثم مانع الزكاة. ص417	ج7 باب إثم مانع الزكاة[2] ص62
21-	" فَإِنْ هُمْ أَطاعُوا لَكَ بِذلِكَ"	ج1 باب أخذ الصدقة من الأغنياء وتردّ في الفقراء حيث كانوا. ص447	ج1 باب الدعاءإلى الشهادتين وشرائع الإسلام[3] ص175
22-	"نَظَرَ أَصْحَابِي بِحِمَارِ وَحْشٍ"[4]	ج1 باب إذا رأى المحرمون صيداً فضحكوا، ففطن الحلال. ص540	ج8 باب تحريم الصيد للمحرم ص88
23-	" حَتَّى إِذَا قَضى رَسُولُ اللهِ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُها إِلى صَدْرِي "	ج 2 باب ما جاء في قول الله تعالى" فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون" ص 610	ج 16 باب من فضائل أبي هريرة ص 46
24-	" مَا أُحِبُّ أَنَّهُ يُحَوَّلُ لِي ذَهَباً"	ج2 باب أداء الديون. ص712	
25-	" ما وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُّورُهَا"[5]	ج2 باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه. ص762	
26-	"يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ"	ج2 باب الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم فيسدد ص 875	ج13 باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر ص32

(1) ورد في مسلم"تُكْثِرْن اللَّعْنَ.وَتَكفُرْنَ الْعَشِيرَ"
(2) ورد في صحيح مسلم"إِلاَّ تَحوَّلَ يوم القيامة شُجَاعاًأَقْرَعَ"
(3) ورد في مسلم "أطاعوا لذلك "
(4) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج4/ 33.
(5)" صدورَها" بالفتح في رواية الأصيلي.

27-	" وَإِذَا شَكَّ في نَفْسِهِ شِيءٌ"	ج2 باب عزم الإمام على الناس فيما يطيقون. ص912	
28-	الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ	ج3 باب قصة البيعة، والاتفاق على عثمان بن عفان. ص1139	
29-	" فَاسْتَحَالَتْ غَرْباً "	ج3 باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدويِّ رضي الله عنه ص1132	ج15 باب من فضائل عمر رضي الله عنه ص133
30-	" فَذَكَرَ عَنْ مَحَاسِنِ عَمَلِهِ"	ج3 باب مناقب علي بن أبي طالب. ص1141	
31-	" رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَماً ما هُوَ بَالشَّعْرِ"	ج3 باب إسلام أبي ذرّ الغفاريِّ. ص1178	ج16 باب من فضائل أبي ذرّ ص28
32-	ما سَمِعْتُ النَّبِيَّ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مالِكٍ "	ج 3 باب إذا همت طائفتان منكم أن تفشلا ص 1236	ج15 باب في فضل سعد بن أبي وقاص ص 149
33-	" وَما عَسَيْتَهُمْ أَنْ يفْعَلُوا بِيِ؟"	ج3 باب غزوة خيبر. ص1286	ج12 باب قول النبي: لا نورث ما تركنا فهو صدقة[1] ص67
34-	" أَرْعى الإِبِلَ على أَهْلِي"	ج3 باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال. ص1322	

(1) ورد في مسلم "وَمَا عَسَاهُمْ أَنْ يَفْعلُوا بِي"

35-	" إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً"	ج3 باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز جل " وعلى الثلاثة الذين خلّفوا" ص1335	ج17 باب حديث توبة كعب بن مالك ص80،81
36-	"ثُمَّ مَا صَلَّى لَنَا بَعْدَهَا"	ج3 باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته. ص1338	ج4 باب القراءة في الصبح[1] ص148
37-	" كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَراً"[2]	ج3باب قوله:" لولا سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا" ص1484.	ج17 باب في حديث الإفك ص86
38-	" مَا مِثْلُه آمَنَ عَلَيْهِ الْبشَرُ"	ج4 باب نزول الوحي، وأول ما نزل.ص1607	ج2 باب وجوب الإيمان برسالة محمد ص 160
39-	" آتَى إِلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حُلَّةً سِيَرَاءَ فَلَبسْتُهَا"	ج4 باب كسوة المرأة بالمعروف. ص1728	ج14 باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء[3] ص42
40-	" حَرْق الحَصِير ليُسدَّ بِهِ الدَّمُ"	ج4 باب حرق الحصير ليسدّ به الدّم. ص1829	
41-	" الحَقْ إِلَى الصُّفَّةِ فَاَدْعُهُمْ لِي"	ج4 باب كيف كان عيش النبي وأصحابه وتخلّيهم من الدّنيا. ص2027	ج2 باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب واثبات وليمة العرس 151
42-	" بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعةَ كَهَاتَيْنِ "	ج4 باب قول النّبيّ بعثت أنا والسّاعة كهاتين. ص2039	ج6 باب تخفيف الصلاة والخطبة ص134
43-	" يُحْشَرُ الكافِرُ عَلَى وَجْهِهِ "	ج 4 باب كيف الحشر ص2044	ج 17 باب يحشر الكافر على وجهه ص 123
44-	" لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بَمَنْزِلِهِ في	ج4 باب القصاص يوم القيامة .ص2047	

(1) ورد في مسلم "صلى لنا النبي"
(2) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج8/ 533.
(3) ورد في مسلم "أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم حُلَّةٌ سَيَرَاءَ فَبَعَثَ بِهَا إِليَّ فَلَبِسْتُها"

	الجَنَّـةِ مِنْـهُ بِمَنْزِلِـهِ كـانَ فـي الدُّنْيَا"		
45-	" لَوِ اسْتَشْفَعْنا إلى[1] رَبِّنَا حتىَّ يُرِيحَنَا مِنْ مَكانِنَا"	ج4 باب صفة الجّنة والنّار ص 2053	ج1 بـاب أدنـى أهـل الجنـة منزلة ص163
46-	" يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ"	ج5 كتاب القدر- باب ص2063	ج16 باب كيفية خلق الآدمي ص158
47-	" فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ"	ج5 كتاب القدر-باب ص2063	ج16 باب كيفية خلق الآدمي ص157
48-	" تَوَكَّلْتُ لَهُ الْجَنَّةَ"[2]	ج5 باب فضل من ترك الفواحش ص2123	
49-	" أَنْشُـدُكَ الله إلاَّ قَضَـيْتَ لِـي بِكتابِ اللهِ"	ج5 باب الاعتراف بالزّنا.ص2129	ج11 بـاب مـن اعـترف علـى نفسه بالزنا ص 171
50-	" ثُمَّ نَدِمِ بَعْدَ ما صَنَعَ"	ج5 باب القسامة. ص2153	
51-	" فَمَـنْ قَضَـيْتُ لَـهُ مِـنْ أَخيـهِ شيئاً"[3]	ج5 باب من قضي له بحقِّ أخيه ص2245	ج12بـاب الحكـم بالظـاهر واللحن بالحجة[4] ص 5
52-	" أَحْيُو ما خَلَقْتُمْ"	ج5 بـاب قـول الله تعـالى " والله خلقكـم ومـا تعملون"ص2363	
53-	" فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ "		ج 2 بـاب بيـان كـون النهـي عن المنكر ص19
54-	"وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بالْكُفْرِ"		ج2 باب بيان حال إيمان من رغـب عـن أبيـه وهـو يعلـم ص44

(1) في رواية هشام وسعيد وفي باقي الروايات "على ربنا".
(2) في رواية أبي ذر عن المستملي والسرخسي.انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج12/ 130.
(3) في رواية الثوري في صحيح البخاري.انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج 206/13.
(4)ورد في مسلم " فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْئاً "

جداول إحصائية

ستعقد الباحثة جداول إحصائية، تقع على صورتين، الأولى تتضمن مواضع التضمين في صحيح البخاري ، والثانية تتضمن مواضع التضمين في صحيح مسلم.

الجدول (أ)

عينة لورود التّضمين في الأسماء في صحيح البخاري

كتاب الإيمان	1	كتاب العلم	6	كتاب التهجد	**1**
كتاب الجهاد والسير	2	كتاب الطلاق	1	كتاب الرقاق	1

عدد مرات ورود التّضمين في الأفعال في صحيح البخاري

كتاب بدء الوحي	2	كتاب الإيمان	1	كتاب العلم	2
كتاب الوضوء	1	كتاب الغسل	1		
كتاب الصلاة	6	كتاب مواقيت	2	كتاب الأذان	3

		الصلاة			
كتاب الكسوف	1	كتاب الزكاة	2	كتاب جزاء الصيد	1
كتاب البيوع	1	كتاب الاستقراض	1	كتاب العتق	1
كتاب الجهاد والسير	2	كتاب فضائل أصحاب الرسول	3	كتاب مناقب الأنصار	1
كتاب المغازي	5	كتاب التفسير	1	كتاب فضائل القرآن	1
كتاب النفقات	1	كتاب الطب	1	كتاب الرّقاق	5
كناب القَدَر	2	كتاب الحدود	2	كتاب الديات	1
كناب الأحكام	1	كتاب التوحيد	1		

الجدول (ب)

عينة لورود التّضمين في الأسماء في صحيح مسلم

كتاب البر والصلة والآداب	1	كتاب الإيمان	2	كتاب صفات المنافقين وأحكامهم	1
كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها	2	مقدمة صحيح مسلم	1	كتاب فضائل الصحابة	1
كتاب صلاة المسافرين وقصرها	1	كتاب الطلاق	1	كتاب القدر	1

عدد مرات ورود التّضمين في الأفعال في صحيح مسلم

كتاب الجهاد والسير	3	كتاب الإيمان	6	كتاب المساجد ومواضع الصلاة	4
كتاب الصلاة	3	كتاب الزكاة	1	كتاب الحج	1

كتاب الإمارة	1	كتـاب فضـائل الصحابة	3	كتاب التوبة	2
كتاب الجمعة	1	كتـاب صـفات المنافقين	1	كتاب القدر	2
كتاب الحدود	1				

- عدد مرات ورود التضمين في صحيح البخاري 64 مرة.
- عدد مرات ورود التضمين في صحيح مسلم 39 مرة.
- بالنظر إلى الجدول الأوَّل نلحظ أن البخاري عمد إلى إيراد صيغ التضمين في الأبواب المتعددة والمختلفة على النحو المدرج في الجدول(أ) ص132، ومن خلال النظر في المواضـع السـابقة نجد أنَّ المواضـع التـي ورد فيهـا التَّضـمين تمثلـت عنـده فـي الأبـواب عامة، ولكن ظهر عنده في أبواب المعاملات خاصة وأبواب العلم؛ لأن في ذلك معاملة بين الناس، وأحكام الصَّلاة والإسلام، فأولى أن يظهر عنده ما فيها من بيان؛ ولأن في ذلك إيراد جمل إنشاء على تغليب الخبر.
- ويظهر في صحيح مسلم من خلال إيراد الجدول (ب) ص 134 وضوح مواضع متعددة للتَّضمين خاصة في الأبواب الخاصة بالوصف (مثل وصف الجنة)؛ لأنَّه كما هو معلوم أنَّ جمل الإنشاء لا غرو فيها، فهي مُصَدَّقة عند المسلم لا شكَّ فيها. وأمَّا ما ظهر عنده في كتاب الجهاد والسير، فلأنه من باب الأحكام والتفصيل والإيضاح، وكذا في كتاب الصَّلاة، والقدر، والتوبة؛ لأنها أحكام تَعْمَد إلى التصديق دون الإخبار.

النتائج والتوصيات

النتائج:

لقد بينت هذه الدراسة الأثر الكبير الذي أحدثه الحديث النبوي الشريف في اللغة العربية الفصيحة، مستمدًا هذا الأثر من القرآن الكريم الذي كَوَّن لغة إسلامية واضحة في ثنايا اللغة العربية، التي تتمثل في مظاهر التطور الدلالي العديدة التي صنعها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومن هذا المنطلق توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولاً: أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أحدثا تراكيب لغوية جديدة لم يكن يعرفها العرب بالصورة التي استعملها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كما أضفيا دلالات جديدة على بعض الألفاظ والتراكيب التي لم تكن تستخدم في الحياة الجاهلية.

ثانيًا: إن شروط التضمين ضمان للابتعاد عن التكلف في توجيه الأحاديث وفق هذا الأسلوب.

ثالثًا: بيان الأثر البارز لبعض شُرَّاح الحديث في الكشف عن مواطن التضمين والتقعيد لهذا المفهوم، ومنهم الإمام بن حجر العسقلاني في كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) ودوره الفاعل في الكشف عن مواطن التضمين وذكر جميع الروايات التي اختصت به.

رابعًا: مواضع ورود التضمين في صحيح البخاري، أكثر من وروده في صحيح مسلم، ويدل على ذلك الإحصائية المعقودة قَبْلاً في نهاية الفصل الثالث؛ وذلك لأن الإمام البخاري عمد إلى ذكر جميع الروايات التي اختصت بالتضمين.

خامسًا: تضمين الفعل لا يقتصر على تعدية الفعل بحرف جر لا يتعدى به، بل يشيع إلى تضمين الفعل فعلًا آخر في المعنى في الاسم المنصوب بغير فعله.

سادسًا: طلب المعنى من وراء اللفظ معزولًا عن نظمه، وقصره على معناه المعجمي يُغْفِلُ الكثيرَ من المعاني والدلالات التي تَتَأَتَّى من خلال السياق.

سابعًا: حمل الكلام على حقيقته – إن أمكن ذلك – أولى من التكلف في حمله وفق أسلوب التضمين.

ثامنًا: إن التكلف في حمل الأحاديث وفق أسلوب التضمين يذهب بكثير من أسرار الحروف ودقائق النظم.

التوصيات :

أما التوصيات التي خرجت بها الدراسة، فتتمثل في الآتي:

أولاً: الاهتمام بالدراسات التطبيقية التي هي الأصل في دراسة الأحاديث النبوية الشريفة لما لها من أثر في الكشف عن مكنون المعاني وذخائر النظم، وكونها أرضًا خصبة للدراسة.

ثانياً: الوقوف على صحيحي البخاري ومسلم بدراسات تطبيقيّة ممنهجة، تُعنى بالأساليب التطبيقية المتعددة فيهما، وتُغطّي جوانب الموضوع اللُّغوي في دراسة مستفيضة شاملة.

ثالثًا: النظر في مسألة الاحتجاج اللّغوي بالحديث الشريف؛ ليكون عمدة للدراسات اللاحقة بعد ذلك، مستندًا إلى مبدأ اتساع الدائرة اللّغوية فيه.

رابعًا : دراسة أسلوب التضمين في الحديث النبوي الشريف في باقي كتب السنة، حيث اقتصرت هذه الدراسة على صحيحي البخاري ومسلم.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**
- ابن الأثير، محمد بن محمد(1962). **المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر.ط1** تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانه، القاهرة، مكتبة نهضة مصر.
- الأزهري، خالد بن عبد الله(لا. ت). **شرح التصريح على التوضيح**.القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد(لا. ت). **تهذيب اللغة**. تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الألوسي، الإمام الحجة شهاب الدين(لا . ت). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. بيروت، دار الفكر.
- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد(1987).**الإنصاف**. تحقيق محمد محي الدين، بيروت، المكتبة العصرية.
- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد(1957). **أسرار العربية**. تحقيق محمد بهجة البيطار،دمشق، مطبعة الترقي.
- الأنصاري، حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو(1986). **ديوان حسان بن ثابت.ط1**،شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ عبد أ علي مهنا،بيروت ، لبنان دار الكتب العلمية.

– البغدادي، عبد القادر بن عمر(1997).**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**.ط4، تحقيق عبد السلام هارون،القاهرة، الخانجي للنشر.

– أبو البقاء، أيوب بن موسى الكفوي(لا. ت). **الكليات.ط1**، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.

– بلبع ، عيد (1999).**أسلوبيّة السؤال**:رؤية في التنظير البلاغي.ط1، القاهرة ، دار الوفاء.

– بي، محمد خالد(1997). **التضمين النحوي بين القدماء والمحدثين**. كلية الآداب، جامعة تشرين، رسالة ماجستير.

– الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك(1975). **سنن الترمذي**. ط2، تحقيق احمد بن شاكر (ج1، 2) وإبراهيم عطوة عوض(ج4، 5)،مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

– توامة،عبد الجبار(1986). **الفعل في القرآن الكريم بحث في الزمن والتعدية والتضمين**. دراسة تحليلية تطبيقية في الآيات المكية، كلية الآداب،جامعة حلب،رسالة ماجستير.

– توامة،عبد الجبار **(1994)**. **التعدية والتضمين في الأفعال في العربية**،الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية.

– الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(1978).**أسرار البلاغة**. تصحيح الشيخ محمد عبده ، وتعليق محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة.

– الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد **(1992)**. **دلائل الإعجاز**، القاهرة، مصر،مطبعة المدني.

- الجرجاني،علي بن محمد بن علي السيد زين أبي الحسن الحسيني(1977). **حاشية السيد الشريف على تفسير الكشاف،ط1**، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- الجرجاني، محمد بن علي(لا.ت) .**الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**. تحقيق عبد القادر حسين، القاهرة، دار نهضة مصر.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان (1952).**الخصائص**. ج2، تحقيق محمد علي النجار، مصر، دار الكتب المصرية والمكتبة العلمية.

- جواد مصطفى، (1968). **دراسات في فلسفة النحو**. بغداد، مطبعة أسعد.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد(1979). **الصحاح**.ط2، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت ، دار العلم للملايين.

- حامد، أحمد حسن (2001).**التضمين في العربية**. بحث في البلاغة والنحو، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع.

- حسين محمد خضر(1960). **دراسات في العربية وتاريخها**. ط2، دمشق، المكتب الإسلامي ، ومكتبة دار الفتح.

- ابو حيان، محمد بن يوسف (لا. ت). **ارتشاف الضرب**.ط1، تحقيق مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني.

- ابو حيان، محمد بن يوسف (لا. ت). **البحر المحيط**. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

- ذو الرمة،غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي أبو الحارث(1995)، **ديوان ذو الرمة**. قدّم له وعلّق على حواشيه سيف الدين الكاتب وأحمد عصام، بيروت، لبنان، دار مكتبة الحياة.

- الرماني، علي بن عيسى(لا. ت). **النكت في إعجاز القرآن**. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، وزغلول سلام، القاهرة، دار المعارف.

- ابن الرومي، عباس علي بن العباس بن جريج(2002). **ديوان ابن الرومي**.ط1،بيروت،دار العلم للملايين.

- الزبيدي، محمد مرتضى(لا. ت). **تاج العروس**.بيروت، مكتبة الحياة.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله(لا. ت). **البرهان في علوم القرآن**.ط2 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا بيروت ،المكتبة العصرية.

- زعبلاوي، صلاح الدين(1984). **مسالك القول في النقد اللغوي**.ط1،سوريا،دمشق، الشركة المتحدة للتوزيع.

- الزمخشري، محمود بن عمر (لا. ت). **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. طهران.

- الزمخشري، محمود بن عمر،(**1923**). **المفصل في علم العربية**. بيروت، دار الجيل.

- زهير بن أبي سُلمى، ربيعة بن رباح بن قرة بن الحارث بن إلياس بن نضر بن نزار المزني(2008). **ديوان زهير بن أبي سُلمى**. ط1، بيروت، دار الراتب الجامعية.

- السامرائي، إبراهيم (1978) **فقه اللغة المقارن**،ط2، دار العلم للملايين، بيروت.

- السامرائي، إبراهيم(لا. ت). **النحو العربي نقد وبناء**. بيروت، دار الصادق.

- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن(لا. ت). **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**.بيروت، لبنان، دار مكتبة الحياة.

– سيبويه، عمر بن عثمان بن قنبر(1977). **الكتاب.ط2**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

– السنهوري، علي بن عبد الله بن علي نور الدين (2006). **شرح الأجرومية في علم العربية**.ط1، دراسة وتحقيق محمد خليل عبد العزيز شرف، مصر، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر.

– السيوطي، جلال الدين (1993). **الأشباه والنظائر**. تحقيق فايز ترحيني، بيروت، دار الكتاب العربي .

– السيوطي، جلال الدين (1971). **الإتقان في علوم القرآن**. بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

– السيوطي، جلال الدين(1975). **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**.تحقيق عبد العال سالم مكرم، وعبد السلام هارون، الكويت، دار البحوث العلمية.

– الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل(2001). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**.ط1 تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة.

– الصبان، أبو العرفان محمد بن علي(لا.ت). **حاشية الصبان على شرح الأشموني**. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

– الصمادي،أحلام محمد عبد الكريم(2000).**التضمين في القرآن الكريم**. دراسة تطبيقية، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير.

- العامري، لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل(1997). **ديوان لبيد بن ربيعة العامري. ط1**،شرحه وضبط نصوصه وقدّم له الدكتور عمر فاروق الطباع، بيروت، لبنان، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر.

- العاملي، عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن زيد بن الرقاع(1990)، **ديوان عدي بن الرقاع.** تحقيق نور الدين حسن محمد، بيروت، دار الكتب العلمية.

- عباس، حسن (1963). **النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة.** ط2، القاهرة، دار المعارف.

- العبسي، عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد (2008). **ديوان عنترة بن شداد**.ط1، بيروت، دار الراتب الجامعية.

- عتر،نور الدين(1979). **منهج النقد في علوم الحديث.** ط2، دمشق ،دار الفكر.

- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله،(لا. ت). **أحكام القرآن**.راجع أصوله وعلق عليه محمد عبد القادر عطا، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

- العسقلاني،الحافظ أحمد بن علي بن حجر(773، 852). **فتح الباري بشرح صحيح البخاري.** مصر، دار البيان العربي.

- العسكري، أبو هلال(لا . ت). **الفروق اللغوية.** تحقيق حسام الدين المقدسي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

- ابن عطيه الأندلسي،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحارمي (1422هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.ط1**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية.

– ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله(ت 769). **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**. بيروت ، المكتبة العصرية،

– العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين(2008). **إعراب الحديث النبوي**.ط2،تحقيق عبد الإله نبهان، بيروت،دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا دار الفكر.

– العلايلي، عبد الله(لا . ت). **مقدمة لدروس لغة العرب**. القاهرة، المطبعة العصرية.

– أبو عمشة، عادل (1986). **العروض والقافية**. ط1،نابلس، مكتبة خالد بن الوليد.

– أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني(1998). **مستخرج أبي عوانة**. تحقيق أيمن عرف الدمشقي، بيروت، دار المعرفة.

– عوض، المتولي محمود المتولي(1997). **الحروف العاملة في صحيح الإمام البخاري دراسة وصفية**. جامعة أم القرى، رسالة ماجستير.

– عيد، محمد (1993). **النحو المصفى**. القاهرة، مكتبة الشباب.

– فاضل، محمد نديم(2005). **التضمين النحوي في القرآن الكريم**. ط1، المدينة المنورة، السعودية، دار الزمان للنشر والتوزيع.

– الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدرامي وكنيته أبو فراس (1987). **ديوان الفرزدق**.ط1 شرح الأستاذ علي فاعور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

– الفيروز أبادي،أبو طاهر محمد بن يعقوب(1979). **القاموس المحيط**. ترتيب الطاهر أحمد الزاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ودار المعرفة.

– القسطلاني، الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي(1996)، **إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاري**، ضبطه وصححه محمد عبد العزيزالخالدي، بيروت، دار الكتب العلمية.

- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق(2006). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.** ط1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع.

- كحالة، عمر رضا(لا. ت). **معجم المؤلفين.** بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- الكريم، عبد الله أحمد جاد(2002). **ظاهرة التّقارض في الدرس النّحوي.** القاهرة، مكتبة الآداب.

- كنّوني ، محمد(1997).**اللغة الشعريّة.**ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة.

- مبروك، أشرف(1989).**الحمل على المعنى.** رسالة ماجستير بدار العلوم.

- المرادي، الحسن بن قاسم(1992).**الجنى الداني في حروف المعاني.** ط1، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية.

- المزني، كعب بن زهير بن أبي سلمى(لا.ت) **ديوان كعب بن زهير.** شرحه وضبط نصوصه عمر فاروق الطباع، بيروت، لبنان، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.

- ابن المعتز،عبد الله (1990). **البديع.**ط1، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، لبنان، بيروت، دار الجيل.

- المليانى، موسى بن محمد(1979). **معجم الأفعال المتعدية بحرف.** ط1، الأحمدي نويوات ، بيروت، دار العلم للملايين.

- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(1956) **لسان العرب،** بيروت، دار صادق.

- الميداني ، أحمد بن محمد(1981) **نزهة الطرف في علم الصرف،**ط1، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

- الميداني،عبد الرحمن حنبكة(لا.ت).**البلاغة العربية**. ط1، دمشق، دار القلم.

- النابغة الذبياني، زياد بن معاوية ين ضباب بن جابر بن يربوع(1991) . **ديوان النابغة الذبياني**. ط1، قدّم له وبوبه وشرحه الدكتور علي بوملحم ، بيروت، لبنان، دار مكتبة الهلال.

- النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيي بن شرف(1930) **صحيح مسلم بشرح النووي**، ط 1، بيروت، الدار الثقافية العربية.

- النيسابوري، الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري(1995). **صحيح مسلم**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية.

- الهاشمي،أحمد بن إبراهيم بن مصطفى(1998). **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**. ط1،تحقيق نجوى أنيس ضو، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

- ابن هشام، جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري(1979). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. ط 5، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت، دار الفكر .

- هصيص، علي(2005). **معجم مصطلحات وأدوات النحو والإعراب**. ط1، مراجعة عيسى المصري، عمان، الأردن، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دار الأسرة للنشر والتوزيع.

- أبو الهيجاء،ياسين(2008). **مظاهر التجديد النحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة حتى عام1984**. اربد،الأردن، عالم الكتب الحديث،عمان، الأردن، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع.

- ابن يعيش، موفق الدين بن علي(لا.ت). **شرح المفصل**. بيروت، عالم الكتب.

الدوريات

- الإسكندري، أحمد(1934) بحث بعنوان. **التضمين**. مجلة اللغة العربية الملكي، القاهرة، العدد الأول.

- الزعبلاوي،صلاح الدين(1980).**التضمين النحوي**. مجلة اللغة العربية بدمشق المجلد،26، والمجلد 55.

- عبد الله، زيد عمر(2002). **أسلوب التضمين وأثره في التفسير**. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد49 يونيو2002، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت.

- الحمد، منيرة محمود(1993). **التضمين في النحو العربي**. مجلة جامعة الملك سعود، م 5 الآداب(2)،الرياض- السعودية .